مذكرة

كتاب لمعة الاعتقاد

دروس علمية أملاها الشيخ راشد الزهراني وقام أعضاء منتديات الشيخ راشد الزهراني
بجمعها في هذه المذكرة
(الطبعة الأولى)

الدرس الأول

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم، اللهم زدنا علماً وهدى وتقى يا ذا الجلال والإكرام، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بمنه وكرمه، أن يجعل اجتماعنا هذا مرحوماً، وتفرقنا بعده معصوماً، وان لا يجعل فينا ولا معنا ولا بيننا شقياً ولا محروماً إنّه عز وجل جواد كريم. أما بعد:

فهذا يوم السبت الموافق للخامس من شهر ربيع الثاني٥/ ٤/ ١٤٣١هـ نعقد فيه هذا المجلس، في شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة رحمه الله، في جامع القاضي بمدينة الرياض، وستتواصل هذه الدروس من ثمان إلى تسع مجالس ننهي فيها بإذن الله عز وجل شرح كتاب لمعة الاعتقاد وكنا قبل ذلك بفضل الله ومنته وكرمه علينا جميعا أن أتممنا شرح كتاب الأصول الثلاثة للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله تعالى واسكنه فسيح جناته، ولعلنا قبل أن نبتدئ في شرح كتاب لمعة الاعتقاد.وهو من الكتب العظيمة والماتعة والنافعة والمؤصلة لطالب العلم قبل أن نبدأ في شرح هذا الكتاب نمهد بمجموعة من المقدمات والتي ستكون عوناً لنا بإذن الله عز وجل على فهم هذا الكتاب وعلى فهم الاعتقاد والافتراق الذي حدث في هذه الأمة العظيمة أمة محمد ﷺ.

مسألة (١)

هذه العقيدة العظيمة التي من الله عز و جل بها علينا مصدر التلقي فيها عند أهل السنة والجماعة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم سلف هذه الأمة، ومعرفة مصدر التلقي من أعظم المسائل التي يجب على طالب العلم أن يراعيها وخاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، الأقوال والانحرافات العقدية والفكرية والثقافية، فنحن بحاجة ماسة إلى أن نعود إلى مصادر التلقي التي من خلالها ندين الله سبحانه وتعالى بأقوالنا وأعمالنا وشرائعنا واعتقاداتنا، هذا المصدر وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دل عليه القران والسنة قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[النساء: ٥٩] وقال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] ، وهذان المصدران المرجع في فهمهما إلى فهم سلف هذه الأمة قال ﷺ **(فعليكم بسنتي)**[١] فهذا حث من النبي ﷺ على التمسك بسنته الكريمة ﷺ، و أما فهم سلف الأمة فالواجب أن يكون فهمنا للقرآن وللسنة مبني على فهم سلف هذه الأمة وهم صحابة النبي ﷺ والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، والسبب في أخذنا للقرآن والسنة بفهم صحابة النبي ﷺ يعود لأمور:

أولاً: أنّهم كانوا شاهدين للتنزيل عندما نزلت الآيات، وحينما بين النبي ﷺ السنة العظيمة كانوا كذلك شاهدين لهذا التنزيل.

ثانياً: أنهم أعلم وأفقه بلغة العرب، فلغة العرب هي مصدر مهم لإدراكنا لمعاني كتاب الله ومعاني سنة النبي ﷺ، لكن اللغة وحدها ليست هي المعيار فإن بعض المصطلحات التي أتت في الشريعة أتت بمعنى آخر عما هو موجود في لغة العرب فالصلاة في الشريعة لها معناها الاصطلاحي الذي اصطلح عليه أهل الإسلام، بينما معناها عند أهل اللغة الدعاء وغير ذلك، وقد دل على الأخذ بفهم سلف الأمة قوله ﷺ: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهدين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور)**[٢]

فهنا حث وأمر من النبي ﷺ أن نسير بسنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وهم ﷺ **(أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعا)** ويقول ابن مسعود رضي الله عنه **(من كان مستنا- من كان سائراً في طريقه - فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب رسول الله ﷺ كانوا خير هذه الأمة، وأعمقها علماً، وأبرها قلوباً، وأقلها تكلفاً، ويكفيهم كما قال: قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ).**

---

(١) سنن أبي داود (٤/٣٢٩).

(٢) المرجع السابق.

مسألة(٢):

لم يكن في عهد النبي ﷺ تميز بين العقيدة وبين الشريعة بل كان النبي ﷺ يأمر بالأمر فيأتمر الصحابة الكرام رضي الله عنهم وينهى عن النهي فينتهي الصحابة رضي الله عنهم.

لكن حينما حدثت الفرقة والاختلاف في هذه الأمة اضطر العلماء إلى أن يميزوا بين العقيدة والشريعة، فالعقيدة: ما يعتقده الإنسان ويدين الله عز وجل به ويكون اعتقاداً صحيحاً سليماً، وبين الشريعة التي هي الأعمال الظاهرة ويؤديها المسلم.ومن رحمه الله انه لم يعهد بين الصحابة خلافاً في العقيدة يقول ابن القيم رحمه الله تعالى (**إنهم وهم سادات المؤمنين لم يعهد عنهم خلافاً في مسألة من مسائل الأسماء والصفات مثلا وهي من مسائل العقيدة، بينما ورد منهم مثلا الاختلاف في القضايا الفقهية وهذا يدل على أن أصول العقيدة والاعتقاد لم تكن محور نقاش وجدال بين الصحابة رضوان الله عليهم**).

ولما حدثت بعض الظواهر كان النبي ﷺ يبادر إلى إيقافها مثلاً: حينما خرج النبي ﷺ ووجد الصحابة قد اختلفوا في مسائل القدر، فكل واحد منهم ينزع إلى آية فخرج النبي ﷺ كأنّما فقأ في وجهه حب الرمان ثم قال ﷺ (**أبهذا أمرتم، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض)** [(١)]، ثم انتهى الأمر منذ أن أخبرهم النبي ﷺ وجلَّى لهم الحق وأبان لهم العقيدة الصحيحة وحينما خرجت بعض النوازع التي فيها غلو، كان ﷺ يطفئها في مهدها.

مثل: **ذو الخُويصرة الذي رأى النبي ﷺ يوزع الغنائم فقال: (يا محمد أعدل، فقال النبي ﷺ ويحك من يعدل إذ لم أعدل، ثم قال ﷺ يخرج من ضئضئ هذا الرجل أقوام تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وعبادتكم مع عبادتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)** [(٢)].

استمر الصحابة رضي الله علنهم ولم يكن بينهم نزاع أو شقاق أو خلاف في مسائل الاعتقاد، وإن كان وقع منهم خلاف في مسائل الفروع الفقهية كما في قول النبي ﷺ **(لا يصلين أحد**

(١) سنن الترمذي (٤/٤٤٣).

(٢) صحيح البخاري (٩/١٣٩).

منكم العصر إلا في بني قريظة)[1] وغيرها من الأحكام والتي في النهاية كان النبي ﷺ يفصل الحق في مسائلها.

استمر هذا الأمر إلى عهد أبي بكر و كذلك إلى عهد عمر رضي الله عنه والجميع يسير وفق ما شرعه النبي ﷺ وما بينه، وما بينه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وفي عهد عمر بن الخطاب: نبتت نابتة يقودها (صبيغ بن عسل التميمي) حيث كان يلبس على الناس عقيدتهم فيدور على الناس ويقول: (والذاريات ذروا) (ماالذاريات ذروا؟) (والحاملات وقرا) (ما الحاملات وقرا؟) (والجاريات يسرا؟)(ما الجاريات يسرا؟) فلما أفتتن الناس به، استدعاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضربه بالجريد ضرباً مبرحاً، حتى قال له: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد أن تقتلني فعجل، وإن كنت تريد أن تؤدبني فاعلم أنه لم يبقى في رأسي شيء مما كان فيه، فسار على جادة الحق والصواب وعاد إلى المنبع الأول، إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم سلف هذه الأمة.

مسالة(٣): خروج الفرق

معرفة تسلسل الفرق يساعد على ضبط عقيدة أهل السنة والجماعة، ففي العام السابع والثلاثين من الهجرة، (٣٧ هـ) بدأت الفتن تطل برأسها فحدثت فتنة الخوارج الخارجين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب قضية التحكيم، وكان قد قال لهم رضي الله عنه: إنما قبلت بالتحكيم بناء على طلبكم، فقالوا: نحن كفرنا وعدنا إلى ديننا، ثم حدثت حوارات بينهم وبين الصحابي عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وحينما خرجت الخوارج وهي فرقة تغلو في الخروج على أمير المؤمنين رضي الله عنه، قابلتها فرقة أخرى وهي فرقة الشيعة، الذين يظهرون الولاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، الشيعة الأوائل ليسوا كالشيعة في هذا الوقت، الشيعة الأوائل كانت القضية عندهم التفضيل أيهما أولى بالخلافة علي أو عثمان رضي الله عنهم جميعاً مع إقرارهم بمكانة وبمنزلة أبي بكر

(١) صحيح البخاري (٢/٣٦٠).

وعمر رضي الله عنهم، لكنهم تطوروا شيئا فشيئاً حتى أصبحوا إلى ما أصبحوا عليه الآن من ولاية الفقيه فأحدثوا أموراً عظيمة ما أنزل الله بها من سلطان.

أذن ظهرت الآن فرقة الخوارج ثم ظهرت فرقة الشيعة وكان وراء هاتين الفرقتين فرقة الخوارج وفرقة الشيعة عبد الله بن سبأ اليهودي، فعبدالله بن سبأ اليهودي أسس فرقة مضادة للخوارج إلا أنه في ذات الوقت كان على صلة وثيقة بعبدالله بن واهب وهو أول أمير للخوارج.

أيضا من سنة ٣٧ وحتى ١٠٠ هـ:

ظهرت أيضا بدعة القدرية الأوائل الذين كانوا يقولون: إن الأمر أُنف (أي أن الله عز وجل لا يعلم بالأمر إلا بعد أن يحدث) وقد غلظ الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على أصحاب هذه المقولة وبدَّعوهم وأوقفوهم موقفا عظيماً وقد انقرضوا.

كذلك ظهرت فرقة المرجئة وهي نتيجة لظهور فرقة الخوارج وأنتم ترون سبحان الله أن هذه الأمة لا تظهر فيها بدعة إلا ظهر مقابلها بدعة أخرى، بدعة تشدد وبدعة أخرى يكون فيها التساهل.

الخوارج يقولون: أن فاعل الكبيرة خالد مخلد في نار جهنم.

و المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، فتقابلت هاتين الفرقتين.

إذن من سنة ٣٧ هـ وحتى ١٠٠ هـ خرجت الخوارج ثم أعقبها الشيعة وأيضا نبتت القدرية والمرجئة.

في مطلع القرن الثاني بعد المئة الأولى:

ظهر أربع شخصيات، كان لكل منهم أثر كبير في اختلاف هذه الأمة، هؤلاء ظهروا في منتصف القرن الثاني.

الشخصية الأولى: (واصل بن عطاء) مؤسس فرقة المعتزلة.

الشخصية الثانية: (الجعد بن درهم) أول من قال بخلق القرآن.

الشخصية الثالثة: (الجهم بن صفوان) تبنى فكر الجعد ابن درهم وزاد عليه مسائل كثيرة.

الشخصية الرابعة: (مقاتل بن سليمان) بدعتة مقابل بدعة الجهمية والمعتزلة الذين أنكروا أسماء الله تعالى وصفاته، فأتى هو وشبَّه الله سبحانه وتعالى بخلقه وهي فرقة المشبهة، فقد بالغ في الإثبات حتى شبه.

من سنة ١٥٠ حتى سنة٢٣٤هـ:

استقرت رؤوس البدع الأربعة الخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة كانوا جميعا في هذه الفترة كل فرقة تؤسس عقيدتها ومنهجها وتجيش الآخرين للقبول بها.

من سنة ٢٣٢هـ إلى ٣٢٤هـ:

ظهرت شخصيتان كان لهما أثر كبير في استحداث أقوال جديدة، وخلق أقوال لفرق أخرى مع أقوالهم.

الشخصية الأولى: عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب مؤسس المدرسة الكُلَّابية، وهو أول من نفى الصفات الإختيارية، وقال بالكلام النفسي مستدلا بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد إنما جُعل الكلام على اللسان دليلا

وسيأتي تفصيله إن شاء الله.

وورثها عنه أبو الحسن الأشعري فأخذ هاتين المقالتين وزاد عليها قضية الكسب في مسائل القضاء القدر وستأتي بإذن الله عز وجل وهي من المسائل الغريبة التي قال عنها الشاعر:

مما يقـــــال ولا حقيقة تحته معـقولة تدنوا لذي الأفهام

الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظام

أشياء ثلاثة لا يصدقها العقل ولا تستند إلى دليل وإنما هي تلفيق لتأكيد البدعة التي أتوا بها.

كذلك قال في الإيمان بقول الجهمية **(أنّ الإيمان هو مجرد التصديق)** ثم بعد ذلك انتشرت المدرسة الأشعرية، كان بعضهم يميل بشكل كبير للنفي ومنهم من كان قريباً من أهل السنة والجماعة كما سيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عز وجل.

الأشاعرة كانوا حرباً ضروساً على المعتزلة، فالمعتزلة يقدمون المدرسة العقلية، والأشاعرة يناظرونهم بالعقل، فكان أهل السنة والجماعة يستفيدون من رد الأشاعرة على المعتزلة ويستفيدون من رد المعتزلة على الأشاعرة ويضيفون إلى هذا دليل عقيدة أهل السنة والجماعة المبني على العقل الصريح والنقل الصحيح.

الشخصية الثانية: (محمد بن كرَّام السجستاني) وهو الذي أسس المدرسة الكُرَّامية، وقد أتى بمجموعة من الأقوال منها:

إطلاق لفظ الجسم على الله، وأنّ الله صار متكلماً بعد إن لم يكن متكلماً، وأتى بعقيدة مختلفة عن قول الجهمية في الإيمان.

من هذه المدارس ظهرت وتأسست فرق وأصبح لكل فرقة مدرسة خاصة لها القواعد الخاصة بها، هذا الإفتراق الذي حدث في الأمة يعطينا ملحظاً غاية في الأهمية، وهو أننا إذا أردنا أن نفهم منهج أو عقيدة أهل السنة والجماعة فيجب أن نعيد هذه العقيدة إلى ما كان عليه الأمر في زمن النبي ﷺ قبل أن يدب الخلاف في هذه الأمة ويمزق شملها، وهذا معنى قول بعض السلف **(عليكم بالأمر العتيق)** وهو الأمر القديم الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام.

مسألة(٤)

أن هذا الافتراق الذي حدث في الأمة بينه لنا النبي ﷺ، كما في حديث عوف ابن مالك رضي الله عنه قال **(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. وفي لفظ: على ثلاث وسبعين ملة، وفي رواية قالوا: يا رسول الله من الفرقة الناجية ؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، وفي رواية قال: هي الجماعة يد الله على الجماعة)**[1] وسنقف معه وقفات:

الوقفة الأولى: أول هذه الوقفات الحكم على هذا الحديث: الحديث ورد بطرق وبروايات مختلفة هذه الطرق وهذه الروايات فيها نوع من التباين لكن المؤدى في النهاية هو إلى شيء

(١) سنن ابن ماجة (٢/١٣٢٢).

واحد، روى الحديث أربعة عشر صحابياً عن النبي ﷺ منهم أبو هريرة رضي الله عنه وأبو موسى الأشعري، ومعاوية بن أبي سفيان، وعوف ابن مالك وغيرهم من صحابة النبي ﷺ وقد أختلف العلماء في الحكم على الحديث بين من يصحح ويضعف، ف ابن حزم قال إلى إنه موضوع، وابن الوزير اليماني ضعفه، ونقل الشوكاني عن جماعة من أهل العلم ويقصد بهم ابن الحزم وابن الوزير تضعيف هذا الحديث والحكم برده وأنه لا يصح نسبته إلى النبي ﷺ وبعض العقلانيين المعاصرين حكموا بضعفه لعدة أمور.

الأمر الأول: قول النبي ﷺ واحد وسبعين واثنين وسبعين وثلاث وسبعين هذا أمر مفتعل ولا يُصدق أن النبي ﷺ يقوله.

الأمر الثاني: قالوا أن النبي ﷺ لا يعقل أن يقول شيئا وهو لم يكن بعد هذا بتفكيره وفهمه.

الأمر الثالث: أن هذا الحديث كما قال لم يروى في كتب القرن الأول والثاني..

الأمر الرابع: أن كل فرقة وضعت الميزان الذي يناسبها، فأهل السنة والجماعة قالوا أهل السنة والجماعة، والمعتزلة قالوا: السواد الأعظم وهكذا.

ولا شك أن هذا رد عقلي لسنة النبي ﷺ، والمعيار في قبول السنة وتصحيحها وتضعيفها هو كلام المحدثين، والشيخ الألباني رحمه الله قال: إن أكثر أهل العلم على تصحيحه، وقبله شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة كبيرة من أهل العلم صححوا الحديث

وكون البعض يرد هذا الحديث بناء على أن محتوى الحديث لا يقبله عقله فإن هذا ليس معياراً لرد سنة النبي ﷺ،

بعض الذين يردون الحديث لا ينظرون إلى السند إنما يقولون كيف نحكم على هذه الأمة أنها كلها هالكة إلا فرقة واحدة فهم يريدون أن يدخلوا في الفرقة الناجية والطائفة المنصورة من قدم عقله ومن أخر القرآن والسنة.

ثم إن الذي يرد هذا الحديث حتى لا تفترق الأمة وتتمزق وتفترق، نقول إن هذا فيه جهل بسنن الله عز وجل، و جهل بالشرع، و جهل بالواقع.

أما الجهل بسنن الله سبحانه وتعالى: فالله عز وجل قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]

أما الجهل بشرع الله فالله سبحانه وتعالى بين لنا أن هذه الأمة ستفترق وبين لنا ضابط السلامة من الفرقة والاختلاف فقال سبحانه وتعالى ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ آل عمران: ١٠٣ وقال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[الأنعام: ١٥٣]

فإذن هذا كله يدل على أن هناك اختلاف في هذه الأمة، والنبي ﷺ قال: **(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم)**[(١)].

الوقفة الثانية:

مسألة مفهوم العدد أن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة، ما المراد به ؟

بعض العلماء خاصة في كتب الفرق، مثل كتاب (الفرق) للشهرستاني أو كتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادي أو كتاب (الملطي) أو كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي، أو غيرهم من العلماء تجدون أنهم يقسمون الفرق التي خرجت في الإسلام إلى ثلاثة وسبعين فرقة، فهل هذه الطريقة صحيحة ؟

نقول: إن قول النبي ﷺ (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)، إما أن يقصد به ويراد به التكثير على كلام العرب، تطلق الرقم ولا تقصد به رقماً محدداً، وإنما تقصد به الكثرة.أو أن المقصود أن هذا الرقم حقيقي، وأن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة.

لكنّ العلماء الذين دونوا هذه المصنفات وجعلوا هذا الرقم حقيقياً، فاتهم ما يستجد ويستحدث بعدهم من فرق جديدة، في وقتنا المعاصر صدر كتاب (موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة) التي أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وقد ذكروا فرقاً كثيرة، صحيح أن

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٧/١٨)، صحيح مسلم (٥٧/٨).

بعض الفرق تنزع في بعض أصولها و قواعدها إلى المدرسة العقلية السابقة، لكن أيضا هناك فرق نبتت في هذه الأمة وهي ليس لها أصول فيما سبق.

إذن إما أن نقول إن العدد للتكثير ولا يراد به العدد الحقيقي

أو نقول إن العدد حقيقي لكن وضع ثلاث وسبعين فرقة وإغلاق الباب دون ما سيأتي من فرق في هذه الأمة هذا محل نظر.

ثم لو تتأملون في كتاب الفرق تجدون أن بعض الفرق متشابهة:

فالشيعة مثلاً: مدارس كثيرة: الإمامية والزيدية والشيخية وغيرها.هذه الفرق والملل المختلفة هل نجعلها فرقة واحدة، لأنها مبنية على أصل واحد أم نجعلها فرق مختلفة ؟

الصحيح والله أعلم: إما أن يقال إن العدد المراد به التكثير وليس العدد الفعلي الحقيقي

أو يراد أن ثلاث وسبعين فرقة لكنها لا تكتمل إلا قبل قيام الساعة.

الوقفة الثالثة:

ما المراد بالافتراق في قول ﷺ: (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)؟

الأمة افترقت في مسائل الفقه، وافترقت في أمور الدنيا، وافترقت بسبب الذنوب والمعاصي، وافترت بسبب البدع. فأيهم المقصود من هذا الحديث ؟

هل يدخل في هذا الحديث الذين افترقوا في مسائل الخلافات الفقهية ؟

العلماء يقولون:

إن الاختلاف بسبب الذنوب والمعاصي لا يدخل في هذا الحديث، كذلك الاختلاف الفقهي، وكذلك الاختلاف بسبب الدنيا وأمورها التي قال النبي ﷺ: **(كيف بكم إذا فتحت فارس والروم) قال عبد الرحمن ابن عوف: نكون كما نحن يا رسول الله، قال: (لا، بل تتحاسدون ثم تتباغضون ثم تتدابرون)**[1]كل هذا التنافس الذي يكون بسبب الدنيا قال العلماء: إن هذه بالإجماع لا تدخل في الافتراق المذموم.

إذن ما المراد بالافتراق ؟

---

(١) صحيح مسلم (٨/٢١٢).

المراد: الابتداع في دين الله عز وجل، هذا هو المراد بالافتراق لأن النبي ﷺ قال: **(من كان ما أنا عليه اليوم وأصحابي)**[١]

الوقفة الرابعة:

الافتراق الذي حدث في هذه الأمة ويشمله هذا الحديث، أرجأه بعض العلماء إلى الافتراق في سبعة أصول.

الأول: الافتراق في ذات الله.

الثاني: الافتراق في صفات الله.

الثالث: الافتراق في أفعال الله.

الرابع: الافتراق في الوعيد.

الخامس: الافتراق في الإيمان.

السادس: الافتراق في القرآن _القول بخلق القرآن _

السابع: الافتراق في مسألة الإمامة

فهذه سبع مسائل.

الافتراق في ذات الله عز وجل: خالف فيه الجهمية، والمشبهة.

والافتراق في صفات الله عز وجل: خالف فيه الجهمية، والمشبهة.

والافتراق في أفعال الله عز وجل: خالف فيه القدرية.

والافتراق في الوعيد: خالف فيه الخوارج.

والافتراق في مسائل الإيمان: خالف فيها المرجئة.

والافتراق في القول بخلق القرآن: خالف فيه المعتزلة.

والافتراق في مسائل الإمامة: خالف فيها الإمامية الإثني عشرية.

الوقفة الخامسة:ما حكم هذه الفرق ؟

---

(١) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (١٧٧/٣).

قال النبي ﷺ: **(اثنتين وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة)** هل المراد أن هذه الفرق كافرة تخرج من دائرة الإسلام ؟**هنا بحث طويل للعلماء:**

الصحيح من أقوال أهل العلم، أنّ هذه الفرق لا تخرج من أهل القبلة، ولا تخرج من الإسلام، لأن النبي ﷺ قال: **(وستفترق أمتي)** فعدهم النبي ﷺ عدهم من الأمة.

وقد عد النبي ﷺ بعض الأمور يكون صاحبها خالداً في النار، لكنّه لا يكون خارجاً من الإسلام ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[النساء: ٩٣] نقول إلا أن يشاء الله فأصحاب الكبائر يكونون تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

فالقول الصحيح أنهم لا يخرجون من الإسلام إلا من استثناهم العلماء الإمام أحمد رحمه الله مثلاً: كفّر الجهمية، وبعض تلاميذ الإمام أحمد رحمه الله لم يكفروهم.

فمن كُفّر فنقول هو في الأصل أصلاً لا يدخل في هذا الحديث، لأنه قد كُفر بأمور أخرى فهو خارج عن هذه الملة، وعن هذه الأمة العظيمة.

الوقفة السادسة:ما طريق النجاة ؟

طريق النجاة واضح، قال النبي ﷺ: (ثنتين وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة)، قيل: من هم يا رسول الله، فقال: (هم الجماعة) وفي رواية (هم السواد الأعظم) وفي رواية(ما أنا عليه اليوم وأصحابي)

مالمراد بالجماعة ؟

قيل: هم جماعة المسلمين.

وقيل: هم صحابة النبي ﷺ، كما ذهب إلى ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

وقيل: هم أهل العلم.

والصحيح: أننا حتى نفقه المراد _مراد النبي ﷺ بالجماعة _ هم جماعة المسلمين والسواد الأعظم الذين يسيرون على ما كان عليه النبي ﷺ وإلا فإنّ السواد الأعظم لو ساروا على

خلاف منهج النبي ﷺ، فإنّهم غير مرادين بهذا الحديث، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وفي الحديث الصحيح أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنّ الله عز وجل جاء بك وجاء بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال ﷺ: (نعم)، قال: وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال ﷺ: (نعم وفيه دخن) قال: يا رسول الله وما دخنه، قال: (قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر)، قلت: يا رسول الله أو بعد هذا الخير من شر، قال: (نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها) فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا) ثم قال: يا رسول الله أرأيت إني أدركني هذا الزمان ماذا أفعل ؟ قال: (عليك بجماعة المسلمين وإمامهم) قلت: يا رسول الله أرأيت إن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: (فعليك بخاصة نفسك واعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت كذلك)[1]

إذن النبي ﷺ بين لنا ما هي الجماعة وإنها جماعة المسلمين وإمامهم، لكن يجب أن تكون هذه الجماعة وهذا الإمام وهم السواد الأعظم أن يكونوا على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام.

أيضاً: نؤكد على معنى آخر، أن هذا المنهج أو هذه الفرقة الناجية، ليست أشخاص فقط، بل هو منهج رسمه لنا النبي ﷺ بقول: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)

فإذا وجد في زمن من الأزمان، أن عالماً من العلماء سار على ما كان عيه النبي ﷺ فيكون هذا العالم هو الجماعة، كما كان الإمام أحمد هو الشخص الوحيد الذي وقف في زمانه في مسألة

(١) صحيح البخاري (٩/١٣٦).

خلق القرآن، فقال العلماء: الإمام أحمد رحمه الله هو الجماعة، لأنّه كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام.

أنا أطلت في هذا الحديث وتفاصيله أكثر بكثير وتحتاج إلى جلسات، لكن يكفي أن أشير إلى كتاب الموافقات للشاطبي رحمه الله، والاعتصام، فقد أفاد وأجاد في بيان هذا الحديث وتفصيل أحكامه، كذلك شيخ الإسلام رحمه الله تحدث عن هذا الحديث في مواطن كثيرة من المهم جداً الرجوع إليها، لكن نحن في هذه الدروس نعطيكم إشارات ومفاتيح وأنتم بإذن الله عز وجل تبحثون عن تفاصيل هذا الحديث،.

مسألة(٥)

ما أسباب نشوء هذه الفرق ؟

هذه من المسائل العظيمة، لأنك لو عرفت كيف زلّت هذه الفرق فإن معرفتك بها يكون عاصماً لك من الوقوع فيه:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه من لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

و قبل أن نذكر هذه الأسباب نقول حينما تقرأون في كتب المؤرخين، وبعض المفكرين الذين تحدثوا عن الفكر الإسلامي ونشوء هذه الفرق، منهم من يجعل السبب الرئيسي والوحيد في نشوء هذه الفرق: هي الأديان الأخرى، الملل الأخرى مثل: اليهودية والنصرانية والمجوسية والهندية، وغيرها

ومنهم من يلغي تماماً هذا الدور للملل والنحل الأخرى في إفسادها لهذه العقيدة ويقول: هي أسباب لا علاقة لها بالأديان الأخرى.

لكن نحن نقول: يجب أن يكون لدينا توازن، لا نلقي بحملنا جميعه على الأعداء، ونقول كل مصيبة هي بسبب الأعداء، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

فهناك أسباب من قبل المسلمين، لكن أيضاً لا نغفل الدور للأديان والمذاهب الأخرى، الله عز وجل قال: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٩]وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[البقرة: ١٢٠]

اسباب الافتراق:

١- الغلو في دين الله عز وجل، إما الغلو في مسائل الاعتقاد أو الغلو في مسائل العبادة وكلاهما يؤدي إلى أن يبتعد الغالي عن المنهج الذي رسمه النبي ﷺ فمثلاً: المرجئة غلوا في نصوص الوعد،..والخوارج والمعتزلة غلو في نصوص الوعيد، ولو أتينا بهذه النصوص جميعاً لخرجنا بالعقيدة الصحيحة التي أمرها النبي ﷺ بها.

٢- مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ويبدأ الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء تزين للإنسان الباطل الذي هو عليه، الجهم ابن صفوان كان سبب قوله بنفي الصفات عن الله عز وجل: أنه كان يناظر طائفة من السومانية وهي تنكر وجود الله عز وجل، فأراد أن يثبت لهم وجود الله فكيف أثبت هذا الوجود، قال لهم إن البرودة والحرارة التي تصيب الإنسان هذه أعراض وأصابت الإنسان فمرض، هذه الأعراض هل هي أوجدت نفسها، أو لا ؟

قالوا: لا، لا بد لها من موجد.

قال: الذي أوجدها هو الله سبحانه وتعالى.

ثم بعد ذلك قالوا: إذن صف لنا ربك. فإن وصف لهم الله عز وجل بما في القرآن والسنة فإنه ستكون هذه الصفات هي حلول للأعراض ويرى انه ان قال ذلك سيشبه الله سبحانه تعالى بخلقه.

فقال: الله عز وجل ليس له صفة إلا صفة الوجود

فخوفاً من أن يبين لهؤلاء الناس ويناظرهم بعقيدة سليمة، أخذ بهذا القول وأخذ يأصّل ويفصل له حتى أصـّل لهذه البدعة الخبيثة، فأحياناً نريد أن نرد على بدعة فنأتي ببدعة مثلها، ولهذا إذا كان هناك بدع وأراد الشخص أن يرد على هذه البدع يجب عليه أن يرد عليها

بكتاب الله وبسنة النبي ﷺ، فإذا حار في شيء فالله عز وجل قال: { فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }النحل٤٣

٣- من أعظم الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الفرق جميعاً: تقديم العقل على النقل، والتي أخذتها جميع الفرق الكلامية: الأشاعرة والمعتزلة والماتيريدية والكلّابية وغيرهم هم أخذوها من الفلاسفة سواء الفلسفة التي كانت قبل الإسلام مثل أرسطو وسقراط وأفلاطون، أو الفلاسفة المسلمين الذين تبنوا هذا الفكر وهو تقديم العقل على النقل مثل ابن سينا والفارابي والكندي وابن رشد وغيرهم، فهؤلاء قدموا العقل على النقل، بل إن الرازي له القانون الذي يسمى القانون الكلي، يقول فيه: إذا اختلف العقل والنقل:

فإما أن يقبلا جميعاً، وهذا محال لأنه جمع بين النقيضين.

وإما أن يردا جميعاً.

وإما أن يقدم السمع على العقل وهذا محال لأن العقل أصل النقل فإذا قدمنا السمع على العقل قدحنا في الأصل الذي هو النقل فتقديم النقل على العقل قدح في النقل والعقل جميعاً

هذا هو القانون الكلي للرازي الذي افتتح به الإمام العظيم والكبير ابن تيمية كتابه: درء تعارض العقل والنقل، فرد على الرازي في تسع مجلدات رد على هذا الدليل العقلي بأدلة عقلية اثبت بها أنه يجب تقديم النقل على العقل.

٤-من الأسباب التي أدت على افتراق هذه الأمة: كما يقول ابن القيم الجهل فالجهل سبب رئيسي في التفرق، ولهذا لما أتى عمرو بن العلاء الى عمرو بن عبيد ليناقشه في قضية، قال: إنك من العجمة أُتيت من الجهل أتيت، أنت لم تفهم المقصد من هذه الآيات والأحاديث التي وردت ولم تفهم الكلام العربي التي وردت به، فالجهل بالقرآن والجهل بالسنة والجهل بفهم السلف والجهل باللغة العربية يؤدي أيضاً إلى نشوء هذه الفرق.

٥- من الأسباب: سوء القصد: وهو أنه يريد الإضرار بالمسلمين، وهذا حدث وسيأتي معنا في بعض المواطن وفي بعض الفرق أنه يدخل في الإسلام للإضرار بالإسلام كما فعل عبد الله ابن سبأ اليهودي فإنه دخل الاسلام للإضرار بالمسلمين.

٦- من الأسباب: النزاع على الإمارة: الخوارج كانوا ينازعون لطلب الإمارة بغض النظر عن مقاصدهم الأخرى لكن المقصد الأساسي هو التغلب من أجل كما يقولون تحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

وهنا قضية أريد أن أنبه عليها: أن بعض الكتاب الآن يقول: أن الصحابة تنازعوا من أجل الإمارة، الخلاف الذي حدث بين الصحابة في السقيفة، كل هذا بسبب الإمارة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: لا يعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم نازعوا أبا بكر في الخلافة، ولا نازعوا عمر في خلافته، ولا نازعوا عثمان في خلافته ولا نازعوا علياً في خلافته حتى معاوية حينما خرج بمن خرج لقتال علي رضي الله عنه لم يقاتل من أجل أنه أحق بالخلافة من علي، والذين قاتلوا مع معاوية لم يخطر في بالهم أنّ معاوية أحق بالخلافة من علي رضي الله عنه وإنما القضية كانت في الأخذ بدم عثمان بن عفان رضي الله عنه لكن فيما بعد حدثت الفتن والفرقة والنزاع بسبب تولي الإمارة في هذه الأمة.

٧- من أسباب التفرق: ظهور الجدال والخصام قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ** ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

الجدال: الأصل أنه مذموم، إلا أن يكون بالتي هي أحسن، الجدال الذي حدث في تاريخ الأمة وخاصة في عهد الدولة الأموية وما حدث فيها من فتن، كان سبباً رئيساً في ظهور هذه الشبهات ونزعة الناس للتفرق والاختلاف الذي حدث في هذه الأمة.

٨- من الأسباب: اتباع المتشابه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ** ﴾ [آل عمران: ٧] فإتباع المتشابه كان من الفتن العظيمة في هذه الأمة و ما خبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صبيغ بن عسل إلا لإيقاف هذا الإتباع للمتشابه الموجود في القرآن والسنة.

٩- من الأسباب: الأسباب الخارجية: فلا نغفل أن اليهود والنصارى والفرس كذلك وهم مجوس هذه الأمة كان لهم أثر كبير في إدخال بعض الأفكار والمعتقدات لهذه الأمة.

فعلى سبيل المثال: اليهود كان لهم دور كبير في محاربة هذا الدين ومحاربة هذه العقيدة منذ أن بعث النبي ﷺ، ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩]، أرادوا أن يغتالوا النبي ﷺ، ألبوا الأحزاب ضد النبي ﷺ، لكن أيضاً كان لهم دور كبير في إلحاق.. أو نشوء هذه الفرق، ومن هذا الدور ما أحدثته الإسرائيليات في هذه الأمة من أثر كبير، كذلك لو أتينا إلى ظهور الخوارج والشيعة فقد كان عبد الله ابن سبأ اليهودي على صلة وثيقة في نشأة هاتين الفرقتين.

كذلك بشر المريسي القائل بخلق القرآن، كان أبوه يهودياً حتى ان الخطيب البغدادي ذكر أن بشر المريسي كان يجلس حوله بعض تلاميذه فمر به يهودي وقال أيها المسلمون احذروا من هذا الرجل فقد أفسد أبوه التوراة وهو يريد أن يفسد القرآن.فكان لهم فعلاً أثر كبير في هذا الأمر.

ابن الأثير رحمه الله حينما ترجم لأبي دؤاد الذي قال بخلق القرآن، قال: ابن أبي دؤاد أخذ مقالته عن بشر المريسي، وبشر المريسي أخذها عن الجهم بن صفوان، والجهم أخذها عن الجعد بن درهم، والجعد أخذها عن أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ.

كذلك النصارى كان لهم أثر في نشوء بعض الفرق، فالقدر كما يقول الأوزاعي رحمه الله: إن الذي أسس لهذه الفكرة هو رجل نصراني أسلم يقال له سوسن أو سوسنيه، هذا الرجل أدخل القول بالقدر ثم تنصر وعاد إلى دينه.

١٠ - السبب الأخير في نشوء هذه الفرق: هو ما حدث في عهد **المأمون** من ترجمة للكتب الفلسفية والتي تكالب الناس عليها، تعلمون هذه الكتب هي عبارة عن تقديس وتقديم للعقل بعيداً كل البعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقال إن المأمون حينما أراد أن يترجم هذا التراث الفلسفي أرسل إلى ملك النصارى، وقال: أريدك أن ترسل لي هذه الكتب حتى نقوم بترجمتها، فاستدعى ملك النصارى بطارقته وأحباره وقال: إنّ خليفة المسلمين يطلب هذه

الكتب وأنا أرى ألا ندفع بهذا التراث الذي نحن نملكه إليه، فقام أحد الأحبار فقال: أيها الملك ادفع بها إليها فوالله ما دخلت هذه الكتب عقيدة قوم إلا أفسدتها، فدفع بها إليه، وقام بترجمتها، من الذي كان يترجم هذه الكتب كان يترجمها اليهود والنصارى ويقدمون تراثها للمسلمين فأدخلوا عقائدهم فيها.

مسألة(٦)

ترجمة صاحب هذه الرسالة التي سنقوم بشرحها الإمام ابن قدامة المقدسي ولد رحمه الله سنة خمسمائة وواحد وأربعين (٥٤١هـ) ونشأ نشأة علمية في بيت علم حفظ القرآن ولم يبلغ، وسافر إلى دمشق و بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغني المقدسي صاحب كتاب عمدة الأحكام، فهو ابن خالته وهم أسرة علم وبيئة تربت على العلم والزهد والورع، وبعد مكوثه في بغداد أربع سنوات، عاد إلى دمشق وأصبح إماماً في المحراب الحنبلي وهو من أئمة هذا المذهب، رحل إلى طلب العلم وتميز رحمه الله بمجموعة من الخصائص والميزات التي جعلته ينفرد عن أقرانه له كتابه العظيم، المغني، الذي قال عنه العز ابن عبد السلام قال: لم تطب لي نفسي بالفتيا حتى قرأت كتاب المغني لابن قدامة رحمه الله تعالى.

أيضاً الإمام ابن تيمية أثنى عليه وقال: لم يدخل مثله...أو أفقه منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة، كان في كل يوم بعد أن يلقي درسه في صلاة العشاء يأخذ الفقراء والمساكين فيدخلهم إلى منزله ويأكل معهم ما تيسر من طعام وبهذا كان يطبق قول النبي ﷺ: **(أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة)**[1]

كان لا يناظر إلا وهو مبتسم، فيقول له بعض خصومه إنك تقتلنا بابتسامتك قبل أن تتحدث بأي كلمة فكان يكسب ودهم بهذه الابتسامة.

ألف في الفقه أربعة كتب، هي كما يقول الشيخ عبد الرزاق عفيفي هي بترتيب التعليم الحاضر، فجعل لطلاب الابتدائي عمدة الفقه، وللمتوسط كتاب المقنع، وللثانوي كتاب

(١) سنن الترمذي (٤/٥٧٧).

الكافي، وجعل للمرحلة الجامعية كتاب المغني لابن قدامة رحمه الله تعالى فقال عنه بعض العلماء

كفى الخلق بالكافي وأقنع طالباً ... بمقنع فقه عن كتاب مطولِ
وأغنى بمغني الفقه من كان باحثاً ... وعمدته من يعتمدها يحصلِ

عاش رحمه الله حياة علمية عظيمة ينشر العلم وعقيدة السلف الصالح حتى توفي رحمه الله سنة ستمائة وعشرين (٦٢٠هـ) ودفن في دمشق في جبل قاسيون، رحمه الله رحمة واسعة.

ومن كتبه العظيمة التي ألفها كتاب لُمعة الاعتقاد

وكتاب لُمعة الاعتقاد هو في مجمله على منهج أهل السنة والجماعة، والعلماء أخذوا عليه ثلاث مسائل لكن توجه التوجيه الصحيح، وبما أنه في الأصل على عقيدة أهل السنة والجماعة فيجب أن يحمل كلامه على المحمل الصحيح وهو ما سنبينه إن شاء الله في الدروس القادمة.

الدرس الثاني

بسم الله، والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لشيخنا وزده رفعةً وشرفاً في الدنيا والآخرة اللهم آمين..... قال المؤلف رحمه الله تعالى(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبودِ في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأنٌ عن شأن، جلّ عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] له الأسماء الحسنى، والصفات العلى﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٥ – ٧] أحاط بكل شيء علما، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، ووسع كل شيء رحمة وعلما ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠])

قبل الشروع في بيان كلام المؤلف رحمه الله نبين معنى (لمعة الاعتقاد) اللمعة بمعنى البُلغة والمقصود هنا البُلغة من الاعتقاد الصحيح الموافق لمنهج سلف هذه الأمة الصالح.

بدأ المصنف رحمه الله تعالى رسالته بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وسبق أن تحدثنا عن بدأ المصنفين كتبهم ورسائلهم ب(بسم الله الرحمن الرحيم) وذكرنا أن هذا تأسياً واقتداءً بالكتاب العزيز الذي ابتدأ فيه ب(بسم الله الرحمن الرحيم) وذكرنا أن البدأ بالبسملة يكون أثناء الكتابة وهذا هدي النبي ﷺ في كتابات ومخاطباته ورسائله، بينما كان النبي ﷺ حينما يتحدث أو يلقي خطبةً يبدأ بقوله: (إن الحمد لله نحمده ونستعينه) والمعروفة بخطبة الحاجة والتي رواها الإمام الترمذي في سننه.

أما بس الله الرحمن الرحيم فقد ورد فيها قوله ﷺ:**(كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر)**[1] وذكرنا أن هذا الحديث ضعيف، وهناك حديثٌ أجود منه وهو: **(كل أمرٍ ذي بالٍ لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر)**[2]، وهذا الحديث حسّنه بعض أهل العلم إلا

(١) إرواء الغليل (١/٢٩).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٩٤) وابن حبان والدارقطني والنسائي في السنن الكبرى وابن ابي شيبة في مصنفه.

أن الشيخ الألباني رحمه الله في مقدمة كتابه إرواء الغليل ذكر أن هذين الحديثين لا يصحان عن النبي ﷺ، لكن ليس معنى هذا أنه لا يبتدأ فيهما لإن هناك أدلة أخرى غير هذا الدليل تدل على أن يبتدأ المؤلف أو الكاتب رسائله ب(بسم الله الرحمن الرحيم)، والنبي ﷺ حينما عقد صلح الحديبية كان أول ما قال: **(أكتب بسم الله الرحمن الرحيم)**[1].

قوله هنا **(الحمد لله المحمود بكل لسان)** هذا الأسلوب الذي انتهجه المؤلف في هذه الرسالة يسمى في علم البلاغة ببراعة الاستهلال، وبراعة الاستهلال معروفةٌ عند أهل البلاغة، والمقصود منها أن يبتدأ المصنف كلامه بمقدمةٍ ينتقي فيها أعذب الألفاظ وتكون هذه المقدمة مسبوكةً في طريقتها كما ذكر هنا رحمه الله هذا السجع الخفيف المتوازن الذي قدم به هذه الرسالة.ويُضّمن المقدمة التي يكتبها ما يريد أن يبينه في هذه الرسالة وبما أن هذه الرسالة رسالة في الاعتقاد فإن المقدمة التي ضمنها رحمه الله كلها تتعلق بهذا المعنى (المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يشغله شأنٌ عن شأن، وجل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد)، وبراعة الاستلال أسلوب قرآني، وحينما تقرؤون سورة الكهف تجدون أن الله عز وجل أتى في مقدمة هذه السورة بالإجمال لما سيقدم في سورة الكهف ثم أتى بتفصيل قصة أصحاب الكهف وهي من الوسائل الجميلة التي عرفها العرب، وقد الف الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله رسالته الموسومة (بتحكيم القوانين) صدرها ببراعة الاستهلال.

قوله رحمه الله: (الحمد لله)، الألف واللام في الحمد يقول أهل البلاغة إن الألف واللام هنا بمعنى الاستغراق أي أن كل أنواع الحمد لله سبحانه وتعالى.

ماهي أنواع الحمد ؟

أنواع الحمد كثيرة فالله عز وجل يُحمد على أمور منها:

١-يحمد على أسمائه وصفاته.

٢- ويُحمد على شرعه وأمره.

---

(١) صحيح مسلم (٥/١٧٤).

٣- ويُحمد على قضائه وقدره.

٤- ويُحمد على نعمه الكثيرة التي لاتُعدُ ولا تحصى.

ما معنى الحمد ؟

الحمد هو :(الثناء بالجميل الاختياري مع محبة المحمود وتعظيمه)، هذا هو الحمد

الفرق بين الحمد والشكر:

وهناك فرقٌ بين الحمد والشكر:

١- الحمد لا يكون مقابل النعمة فأنت تحمد الله عز وجل على عظمته، وتحمده على جلاله، وتحمده على أسمائه، وتحمده على ماله من صفات حسنة، كذلك في البشر تحمد العلماء مع أنهم لا يكونوا قد أوصلوا إليك خيراً مادياً لكن تحمدهم على هذا العلم الذي ينشرونه ويبلغونه للناس، فالحمد لا يشترط أن يكون مقابل نعمة، أما الشكر فلا بد أن يكون مقابل نعمة.

٢- ومن الفروق أن الشكر يكون بالقلبِ، واللسانِ، والجوارح، بينما الحمد يكون بالقلب واللسان ولهذا يقول الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فالشكر له اركان ثلاثة، القلب، واللسان، والجوارح، وهذا هو معنى قول الله عز وجل ﴿ **ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ** ﴾ [سبأ: ١٣].

قال: (المحمود بكل لسان)

الله عز وجل محمودٌ بكل لسان، والمراد هنا لسان الحال ولسان المقال، لسان المقال هو: أن يسبح العبد ربه وأن يحمده، و التسبيحٌ بلسان الحال، فالله سبحانه وتعالى يحمده ويسبحه من في السماوات ومن في الأرض كما قال عز وجل: ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ** ﴾ [الجمعة: ١] ويراد بـ **(المحمود بكل لسان)** هو اختلاف ألسنة الناس العربي والعجمي فكلهم يحمدون الله ويثنون عليه سبحانه وتعالى.

قال: (المعبود في كل زمان)

العبودية نوعان:

١- **العبودية العامة** وهذه يدخل فيها كل من في السماوات والأرض، يدخل فيها المؤمن والكافر، والبّر والفاجر، كما قال الله عز وجل ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[مريم: ٩٣].فكلهم يدخل في هذه العبودية العامة الشاملة.

٢- **العبودية الخاصة** وهذه العبودية خاصةٌ بالمؤمنين الذين رضوا بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا.

قال: (الذي لا يخلو من علمه مكان)،

فالله عز وجل علم ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون، وفي هذا إثباتٌ لشمول علم الله عز وجل فالله سبحانه وتعالى يعلم دبيب النملة السوداء على الصفاة الصماء في الليلة الظلماء لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، يعلم السر واخفى، فالسر عنده عز وجل علانية.

قال: (ولا يشغله شأنٌ عن شأن)

وهذا دليل على عظمة الله عز وجل، البشر لا يستطيعون لضعفهم وقصورهم أن ينشغل الشخص الواحد بأكثر من أمرٍ في وقت واحد وإن انشغل فيكون بقدر المعقول والمحدود(ما جعل الله لرجلين من قلبين في جوفه)، أما الله عز وجل فلا يشغله شأنٌ عن شأن لا تشغله أمة عن أمة، ولا تشغله لغة عن لغة سبحانه وتعالى.

قال: (جل عن الأشباه والأنداد)

جل تقدس وتنزه سبحانه وتعالى عن الأشباه، أي أن يشبهه أحدٌ من خلقه، وفي هذا نفي للتشبيه الذي ذهبت اليه بعض الطوائف، الذين شبهوا الله عز وجل بخلقه، قال: (والأنداد) أي الأمثال فليس لله عز وجل نّدٌ سبحانه وتعالى.

قال: (وتنزه عن الصاحبة والأولاد)

المشركون قالوا: الملائكة بنات الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، واليهود قالوا: عزيرٌ ابن الله فكذبهم الله عز وجل في هذا كله وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[المائدة: ١٧]

قال: (ونفذ حكمه في جميع العباد)

فالله سبحانه وتعالى ما يشاء يكون، وهذا الفرق بين ملك العبد الضعيف وبين ملك الله عز وجل الجبار فملك العباد مهما اعتلى وقوي فإنه محصور ومقصور وليس ممتد فإنّ بعض الملوك لا يستطيع أن يتصرف في كل شيء وكذلك فإنّه لا يبقى في مكانه تقدس عز وجل عن هذا كله ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى وينفذ حكمه في جميع العباد سبحانه وتعالى.

قال: (لا تمثله العقول بالتفكير)،

مهما وصل العقل من رؤى وأحلام فإنه لا يستطيع بهذ العقل أن يصل إلى هذه المعرفة وهي أن يمثل الله عز وجل أو أن يعرف كُنه صفة الله سبحانه وتعالى **قال: (ولا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير)** الوهم هو إدراك لبعض الجزئيات، يعني مهما كان القلب فإنه لا يستطيع أن يدرك كُنه صفة الله سبحانه وتعالى.

قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]

وهذه من أعظم الآيات التي يثبت بها أهل السنة والجماعة الأسماء والصفات لله عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ هذا ردٌ على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ردٌ على الذين يعطلون أسماء الله عز وجل ولا يثبتون له الأسماء والصفات ولهذا يقولون في أيام قوة المعتزلة في عهد أحد خلفاء الدولة العباسية، قال أحدهم: للخليفة ياخليفة المسلمين لو محوت قوله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ من الكعبة كانت مكتوب على الكعبة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ثم اقترح أن تبقي

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لأنهم يعلمون أن العزة والحكمة هي من أفراد ربوبية الله عز وجل، ولا يستطيعون أن يمحوا هذا المعنى، ومع هذا أراد أن يطمس هذه الآية لما فيها من حقيقةٍ واضحةٍ وبينة في اثبات الأسماءِ والصفات لله سبحانه وتعالى.

قال: (له الأسماء الحسنى والصفات العلى):

سيأتي بإذن الله عز وجل معنا مجموعة من القواعد في إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لكن المؤلف رحمه الله في مقدمته أراد أن يبين أننا نثبت الله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العلى وأن هذا الإثبات لا يقتضي تشبيه ولا مماثلة الله عز وجل بخلقه ثم ذكر مثالاً على ذلك فقال﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥ - ٧]، وسيأتي معنا بإذن الله عز وجل تفصيل لهذه الآية.

قال: (أحاط بكل شيءٍ علما)

وهذا يدلك على سعة علم الله سبحانه وتعالى.

(وقهر كل مخلوقٍ عزةً وحكما)

فالله عز وجل بعزته وبقدرته نفذ أمره في جميع العباد وقهرهم سبحانه وتعالى بهذه العزة وبهذا الحكم.

قال: (وسع كل شيء رحمةً وعلما)

وهذا هو معنى﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]، قال﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]

. فهذه مجموعة من المعاني الجميلة والنفيسة التي صدر بها الإمام الموفق ابن قدامه-رحمه الله- هذه الرسالة والتي وسمها بلمعة الاعتقاد..

قال رحمه الله تعالى: **(موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم، وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول).**

هنا شروع من المؤلف رحمه الله بالتفصيل في هذه الرسالة.

المسألة الأولى قال: (موصوفٌ بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم ﷺ).

هنا قاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وهي أنهم يثبتون لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العلى كما أثبتها الله عز وجل لنفسه في كتابه، واثبتها له رسوله ﷺ في سنته، ومعنى ذلك أنّ الأسماء والصفات هي توقيفية فلا يجوز لنا أنّ نسمي الله عز وجل أو نّصفه بأسماء وصفات لم ترد في كتاب الله ولم ترد في سنة رسوله ﷺ هذه القاعدة هي الأساس، وسيأتي معنا بإذن الله عز وجل أنّ بعض السلف توسع في باب الإخبار عن الله عز وجل لكن ما يتعلق بالأسماء والصفات لايجوز أن نثبت لله عز وجل اسماً أو صفةً إلا ماجاء اثباته في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ ومن هنا يعلم أنّ المصدر في اثبات الأسماء والصفات هو: كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسولهﷺ.

قد يقول قائل: إن كل الفرق يقولون نحن نثبت وننفي بالقرآن و بسنة النبي ﷺ، نقول ليست القضية أن نعلي شعاراً أننا نثبت الأسماء والصفات بالقرآن بل لا بد أن يكون إثبات الأسماء والصفات بالقرآن على فهم سلف هذه الأمة الصالح، فالمعتزلة يقولون: في قوله عز وجل﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ** ﴾ [طه: ٥] قالوا استوى بمعنى: استولى فهذا تحريفٌ عن المراد الذي أراده الله سبحانه وتعالى وسيأتي معنا بإذن الله عز وجل التفصيل في هذه الآية.

وهنا مسألة تحدث عنها كثيرُ من أهل الكلام وخاصةً من الأصوليين تعلمون أن علم أصول الفقه أكثر الذين كتبوا فيه هم من أهل الكلام من الأشاعرة، والمعتزلة، والماتريدية وغيرهم، فأثبتوا من خلال هذه الرسائل معتقداتهم ولهذا ينبغي لطالب العلم الذي يدرس أصول الفقه أن يكون على حذر مما يكتب في هذه الكتب والمصنفات وخاصةً فيما يتعلق في باب الأسماء والصفات أو في باب الاعتقاد بشكل عام، هنا اختلف المتكلمون في جواز الأخذ بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد وتجد في بعض كتب أصول الفقه إذا أتو إلى بعض المسائل يقولون: اختلف العلماء فيه على قولين القول الأول: وهو قول جمهور العلماء وهو أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم ولا يحتج به في الاعتقاد، القول الآخر يقولون: وهو رواية عن الإمام

أحمد رحمه الله أنه يفيد العلم ويحتج به في أحاديث الاعتقاد ولا شك أن هذا التقسيم بهذه الطريقة غير صحيح فالمسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول جماهير أهل العلم أن أخبار الآحاد التي صحت عن النبي ﷺ تفيد العلم ويحتج بها في الاعتقاد.

القول الثاني: قول ابن عبد البّر المالكي رحمه الله أنها تفيد الظن ويحتج بها في الاعتقاد.

القول الثالث: قول المتكلمين لاتفيد العلم ولا يحتج بها في مسائل الاعتقاد.

مالمراد بأحاديث الآحاد ؟

في مصطلح الحديث يقسمون الحديث الى نوعين:

١- الحديث المتواتر الذي رواه جمعٌ عن جمع عن جمع يستحيل توطؤهم على الكذب.

٢- الحديث الآحاد الذي رواه الفرد الواحد.

الذي دل عليه الدليل أن الآحاديث لا يفرق بينها وأنه يحتج بالآحاد كما يحتج بالمتواتر في مسائل الاعتقاد وفي مسائل الأحكام وفي غيرها من المسائل والدليل على ذلك أن هذا التقسيم متواتر، وآحاد لم يعرف في عصر الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يستمعون إلى الحديث عن النبي ﷺ ولم يفرقوا بين متواتر وغيره وإنما يعملون به مباشرة فحينما كان الصحابة يأتمون إلى بيت المقدس أتى اليهم آتٍ وقال لهم: إنّ القبلة قد حولت إلى المسجد الحرام فتحولوا مباشرةً ناحية المسجد الحرام ولم يقولوا كم عدد الذين راوو هذا الحديث وكم شخص مع إنّ الذي أخبرهم بهذا الأمر هو شخصٌ واحد، هذه المسألة مسألة الإحتجاج بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد هي من المسائل الشهيرة التي خاض فيها المتكلمون ورد عليهم أهل السنة رداً واضحاً بيناً شافياً، وكان ممن رد في ذلك ابن القيم رحمه الله في آخر مختصر الصواعق المرسلة فقد فند أقوالهم ورد عليهم بالدليل الواضح وبالبرهان الساطع الذي يدل على الحق، ويبين منهج أهل السنة والجماعة.

قال: (وكل ماجاء في القرآن أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول).

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة منهج السلف الصالح ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وأيضاً يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالصحيح هو أن أحاديث الآحاد إذا صحت عن النبي ﷺ فإنها تفيد العلم ويحتج بها، وأيضاً يجب على المسلم أن يوطن نفسه على التسليم والقبول لأحاديث المصطفى ﷺ ولهذا يقال: إن إسحاق ابن راهويه رحمه الله كان يحدث بحديث النزول، فقال أحدهم: آو تحدث بهذا الحديث، - يعني هو حديث آحاد-، قال: نعم أحدث به، نحن نحدث بأحاديث الآحاد، ونقبل بها ونحرم بها ونقطع بها الرقاب، ونترك بها، ونفعل ونفعل ثم لا تريدنا أن نقبلها في الاعتقاد، فكان رحمه الله يبين أن أحاديث الآحاد يحتج بها في الأحكام ويحتج بها في الاعتقاد وأنها تفيد العلم فيجب تلقيها بالقبول والتسليم.

قال رحمه الله تعالى: (وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.

وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا، وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله اتباعا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾آل عمران: ٧، وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾آل عمران: ٧ فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه

بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله جل وعلا

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾آل عمران: ٧

قال رحمه الله بعد أن ذكر (وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول)، وان هذا منهج أهل السنة والجماعة، بين رحمه الله مناهج أخرى، الآن التعامل مع الأسماء والصفات كيف يكون ؟ أن نثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ هذا هو منهج أهل السنة والجماعة وأن نتلقى هذه الأسماء والصفات بالقبول والتسليم.

قال رحمه الله: (وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل).

هنا أربع مسائل مناقضة لمنهج أهل السنة والجماعة:

الأول: الرد: وهو رد ما جاء به القرآن، وما جاءت به سنة النبي ﷺ، الله عز وجل قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[الحشر: ٧]، فلا يجوز أن يرد العبد أي شيء أتى به القرآن أو سنة النبي ﷺ.

الثاني: التأويل ، والتأويل من أعظم المسائل التي بينها أهل العلم ويجدر بطالب العلم أن يفقهها حتى يعرف الحق في هذه المسألة.

ما معنى التأويل ؟

الله جل وعلا قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[آل عمران: ٧] ما معنى التأويل ؟ التأويل الوارد في القرآن له معنيان:

المعنى الأول: التفسير، لو تقرؤون في كتاب جامع البيان لابن جرير رحمه الله يأتي بالآية ويقول:تأويل قوله سبحانه وتعالى كذا ثم يفسر هذه الآيات، فالتأويل بمعنى التفسير

المعنى الثاني: معناه حقيقة الشيء، ما تؤول اليه حقيقة الشيء، كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: ٧] يعني لا يعلم حقيقة مآله إلا الله سبحانه وتعالى، وأيضاً آية الرؤيا ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ [يوسف: ١٠٠]، يعني حقيقة مآل هذه الرؤيا هي كذا وكذا وكذا،

أذن المعنى الثاني للتأويل: هي حقيقة الشيء أو ما يؤول إليه الشيء، حقيقة الأخبار ما تأويلها هو وقوعها، النبي ﷺ أخبرنا بأخبار تقع في آخر الزمان فتأويلها هو وقوعها كما أخبر النبي ﷺ، وحقيقة الأحكام هي إيقاعها من العبد أن يقوم العبد ويفعلها ويأتمر بالأمر الذي أمره الله عز وجل به وينتهي عن النهي الذي نهى عنه المصطفى ﷺ، هذان المعنيان هما المعروفان عند أهل السنة والجماعة، المعنى الأول: معناه التفسير، والثاني: حقيقة الشيء أو ما يؤل إليه حقيقة الشيء، **ثم أحدث أهل الكلام معناً ثالثاً قالوا:** التأويل هو صرف اللفظ عن الإحتمال الراجح إلى الإحتمال المرجوح لدليل يقترن به، ما معنى ذلك ؟ الله عز وجل قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ طه: ٥، فاستوى أهل السنة والجماعة قالوا نثبتها لله عز وجل كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، فقال المتكلمون: لا، هذا اللفظ استوى يجب أن نصرفه إلى معناً آخر وهو استولى، قال لدليل يقترن به مالدليل الذي يقترن به ؟ أتو ببيت من الشعر لا يوجد في دواوين العرب قالوا:

قد استوى بِشرٌ على العراقِ من غير سيفٍ ولا دمٍ مهراقِ

فقالوا: العلماء وأهل اللغة يعرفون أن استوى بمعنى استولى وهذه هي القرينة التي يصرفون بها اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح، هذا التعريف وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، إنما أحدثه المتكلمون ليكون مبرراً لتأويلهم لهذه الآيات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ما موقف أهل السنة والجماعة من التأويل ؟

أهل السنة والجماعة يقولون: التأويل إذا اجتمعت فيه أربعة شروط نقبله.

الشرط الأول: أن يدل عليه الدليل من لغة العرب.

الشرط الثاني: أن يدل السياق عليه، فالنظر مثلاً: إذا عدي بإلى له معنى، وإذا عدي بعلى له معناً آخر.

الشرط الثالث: أن يدل الدليل عليه، الآن عندنا دليل اللغة، ودليل السياق، وأن يدل الدليل الشرعي عليه مثل ماذا، مثال لهذا التأويل: قول ابن عباس رضي الله عنهما، في تفسيره لقول

الله سبحانه وتعالى: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾التوبة: ٦٧، قال: فنسيهم بمعنى تركهم، قال: وقد دل دليل آخر عليه هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم: ٦٤، إذا دّل الدليل من القرآن، ومن كلام اللغة، ومن السياق، ومن القرآن والسنة عليه فإننا نقبله.

الشرط الرابع: أن يسلم هذا الدليل من المعارض، هذا ما يتعلق بالتأويل وهنا استشهد رحمه الله بقوله تعالى﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[آل عمران: ٧]، وسيأتي مزيد تفصيل في هذا، إذن أهل السنة والجماعة يتركون التعرض له بالرد وبالتأويل.

الثالث قال: وبـ (التشبيه والتمثيل).

ما الفرق بين التشبيه والتمثيل ؟ التشبيه هو المشابهه من بعض الوجوه من بعض الصفات، أما التمثيل فهو أن يكون مثله في جميع الأوجه، ولهذا الذي نفي في القرآن ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾الشورى: ١١، لأنه ما من شيء إلا ويشبه الشيء في بعض الأوجه، لو لم يكن منها إلا الشبه بالاسم ولهذا النبي ﷺ بين لنا أنّ الشبه بين الدنيا وبين الجنة إنما هو في الأسماء ولهذا كان النفي الصحيح هو نفي التمثيل وليس نفي التشبيه، لكن في كِلا الأحوال فالله عز وجل لا يشبهه أحدٌ من خلقه ولا يشبه أحدٌ من خلقه ولا يماثلهم سبحانه وتعالى كما قال الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١

قال بعد ذلك رحمه الله: (وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا، وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله)

لمعة الاعتقاد في مجملها على منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح إلا أن بعض أهل العلم أخذوا على الموفق بعض المواطن في رسالته والتي توهم أنه يسير فيها على غير عقيدة أهل السنة والجماعة لكن جميع هذه المسائل الثلاث التي أخذت عليه تُخرّج على محمل حسن الظن بهذا الإمام وهو من أئمة أهل السنة والجماعة رحمه الله.

أين الإشكال ؟، قال: (وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا)، هذا لا إشكال فيه، قال: **(وترك التعرض لمعناه)** هنا الإشكال، هل منهج أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون الأسماء

والصفات دون أن يثبتوا لها معاني، منهج أهل السنة والجماعة هو وإثبات الألفاظ وإثبات المعاني، وهذا يقودنا إلى الحديث عن مسألة في غاية الأهمية وهي مسألة التفويض أو المفوضة.

ما معنى التفويض؟

التفويض يقال: فوّض إليه الأمر أي رده إليه، تقول: فوّضت الأمر لفلان، أي رددت الأمر إليه، وفي الاصطلاح: صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لمعناه، نقول الله عز وجل نثبت له صفة السمع، لكن لا نعرف ما معنى السمع، نثبت له صفة البصر لكن لا نعرف معنى البصر.مالذي حمل القائلين بالتفويض على هذا الأمر، حملهم أمران:

الأمر الأول: أنّهم اعتقدوا أنّ ظواهر النصوص تفيد التشابه فإذا اثبتنا لله معنى السمع كأننا شبهنا الله عز وجل بخلقه تعالى الله عما يقولون علواً كبير فهم فهموا أن فيها تشبيه.

الأمر الثاني: أنّهم فهموا أنها مجهولة المعاني، ابن القيم رحمه الله وابن تيمية تحدثوا عن أهل التفويض وسماهم ابن القيم اللاأدرية، اذا قيل لهم ما معنى السمع ؟قالوا لا أدري، فسماهم اللا أدرية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وهؤلاء أهل التجهيل، سماهم أهل التجهيل، الذين يقولون إن كلام الله وكلام رسوله لا يفهمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فسموا بأهل التجهيل، لأنهم يجهلون معاني كتاب الله ومعاني سنة رسوله ﷺ.

ثم أهل التجهيل على قسمين:

القسم الأول: من يقول: إنّ الأسماء والصفات نصرف لفظها ومعناها،فيردون اللفظ والمعنى،

القسم الثاني: منهم من قال نثبت اللفظ ونرد المعنى، وحينما تقرؤون في كتب بعض المتقدمين من أهل العلم أمثال الإمام النووي رحمه الله يقول لك إن مذهب السلف هو عدم التعرض لمعاني الصفات، وهذه من المؤخذات التي وقع فيها رحمه الله، ثم قيل إن مذهب السلف هو إثبات الألفاظ وعدم التعرض للمعاني، ويقولون إن منهج السلف أسلم فيه سلامة ومنهج الخلف أعلم وأحكم، والصحيح أن هذا مذهب التفويض ليس منهجها للسلف بل هو من أشر المذاهب، هم أرادوا أن يردُوا على المعطلة من المعتزلة وغيرهم الذين نفوا الأسماء والصفات، فاثبتوا الأسماء والصفات ونفوا معانيها مع أننا نعلم حينما نقرأ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

﴿شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وقوله﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ المائدة: ٣٤، نعلم إن الغفور غير الرحيم، وأن الرحيم غير السميع وأن البصير غير الغفور وهذه معلومة المعاني سواءً في لغة العرب أو فيمن بعدهم بل إنّ بعض الأشاعرة الذين عادوا إلى منهج أهل السنة والجماعة يقول: حينما فكرت في الأسماء والصفات التي كان يقولها النبي ﷺ للصحابة، وقد كان يحضر مجلسه، الأعراب، وغيرهم، ويحضر البليد والذكي، ويحضر العامي والعالم، والنبي ﷺ يبين لهم هذه الأسماء والصفات يقول لم نجد النبي ﷺ في يومٍ من الأيام يقول لهم: معاني الأسماء والصفات غير مراده، وهم أهل بلاغة وفصاحة ويفقهون هذه المعاني، أذن فمذهب التفويض كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هو مذهب أهل التجهيل، وسماه ابن القيم اللاأدرية وهو من أشر المذاهب، ولا تغتروا بمن نسب هذا المنهج إلى منهج أهل السنة والجماعة فهو بعيدٌ كل البعد عنها، فعقيدتنا أن نثبت لله عز وجل الأسماء والصفات والمعاني التي تليق بالله سبحانه وتعالى من غير تشبيه ولا تحريف ومن غير تعطيل ولا تمثيل وسيأتي معنا بإذن الله عز وجل مزيدُ بسطٍ لهذه المعاني.

قال: (وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله).

رددنا على هذا المعنى الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى رحمةً واسعة، لكن قد نحمل كلام الشيخ على محملٍ حسن فنقول إن الشيخ رحمه الله أراد عدم التعرض لمعناه أي معنى الكيفية، كيف السمع ؟ كيف البصر ؟ هذه كما قال الإمام مالك رحمه الله لمن سأله، قال: كيف الإستواء ؟، قال: الإيمان به معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً فأمر به فأخرجه، فلعل ابن قدامة رحمه الله أراد بترك التعرض لكيفيته لأنّ الذين قالوا إنّ منهج السلف الصالح هو التفويض، أخذوا من مثل هذه النصوص للعلماء فقالوا: ابن قدامة قال: عدم التعرض لمعناه، الأمام أحمد رحمه الله قال: بلا كيفٍ ولا معنى، وورد عن بعض العلماء رحمهم الله أنهم قالوا: أمروها كما جاءت، وبعض العلماء أمر بعدم التعرض لتفسيرها، قالوا إنّ معناه: ترك التعرض لمعناها، نقول إنّ أهل العلم يقصدون بهذه الأقوال ترك التعرض للكيفية لأنّ الكيف مجهول ولا يعلم به إلا الله سبحانه وتعالى.

قال: إتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عز وجل عليهم في كتابه بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ وقال: في ذم مبتغي تأويل المتشابه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾آل عمران: ٧، قال فجعل ابتغاء التأويل علامةً على الزيغ وقرنه بإبتغاء الفتنة بالذم ثم حجبهم عما آملوه وقطع اطماعهم عما قصدوه بقوله ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾آل عمران: ٧ □

هذه الآية من الآيات العظيمة قال تعالى في سورة آل عمران ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾آل عمران: ٧ ما معنى المحكم ؟، وما معنى المتشابه ؟ الذين قالوا إننا لا نتعرض لمعاني الصفات والأسماء، قالوا لأنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل، نقول في بيان ذلك الله عز وجل وصف القرآن كله بأنه محكم، ووصف القرآن كله بأنه متشابه، ووصف القرآن بأنه بعضه محكم وبعضه متشابه، معنى أن القرآن كله محكم أي واضح وبين، كما قال الله عز وجل ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١]، ومعنى أنه كله متشابه، أنه يشبه بعضه بعضاً في القوة والأعجاز، هذا أمر، وهذا أمر، هذا نهي، وهذا نهي، وهذا خبر، وهذا خبر وهو معنى قول الله عز وجل ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ الزمر: ٢٣، ووصفه بأنه محكم وبأنه متشابه كما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٞ﴾ آل عمران: ٧ يعني واضحة بينة ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ آل عمران: ٧ هن أصل الكتاب، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾آل عمران: ٧ المتشابه ليس معناه هو المتشابه المطلق الذي لا يعرف أحدٌ معناه، وإنما المقصود به المتشابه النسبي فتجد في بعض تفاسير أهل العلم يقول لك هذه الآية الله أعلم بمرادها مثل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ مريم: ١، وتجد علماء آخرين يقولون هذه حروفٌ مقطعة بين الله عز وجل بها للمشركين أنّ هذا القرآن مكون من هذه الأحرف التي تعرفون فأتوا بمثل هذا القرآن، فكان فيها إعجاز ودلالة على عظمة هذا القرآن الذي أتى به ربنا عز وجل، إذن

المتشابه الكلي الذي لا يعرف أحدٌ معناه هذا غير موجود في القرآن لماذا ؟ لأن الله عز وجل أنزل علينا هذا القرآن بلغة نفهمها، قال عز وجل: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ١٣٨، ولو كان القرآن منه متشابه لا يعلم أحدٌ معناه، فما معنى قول الله عز وجل ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩، كيف نتدبر كلاماً لا نعرفه، ولهذا يقول العلماء إنّ الذين يقولون إنّ نصوص الأسماء والصفات من المتشابه الذي لا يعلم أحدٌ معناه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، يطعنون في حكمة الله ويطعنون في هذه الشريعة ويطعنون في محمد ﷺ الذي هو أعلم الناس بالله عز وجل، أنه يتكلم بكلام لا يعرف معناه ولا يعرف الناس معنى هذا الكلام أذن المراد بالمحكم الواضح البين، وبالمتشابه المتشابه النسبي الذي يعرفه البعض دون البعض قال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ آل عمران: ٧ أهل الزيغ والضلال يذهبون إلى المتشابه الذي يحتمل معاني، ويحتمل أوجه لهذا كانت عقيدة أهل السنة والجماعة هو أن يُحمل المتشابه على المحكم، إذا اشتبه عليك أمر فأعده إلى المحكم الأصل الذي قال الله عز وجل عنه: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾آل عمران: ٧، فتعيده عليه فتنجلي هذه القضية، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾، ما مقصودهم من هذا الإتباع ؟ قال ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾آل عمران: ٧ إثارة الفتنة وبلبلة الناس.

قال ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾آل عمران: ٧، هنا مسألة أخرى، الوقف أين يكون ؟ هل يكون على ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ونقف، أم أننا نقول﴿ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ آل عمران: ٧، نقول على الأمرين: إن أردنا بالتأويل هنا التفسير فإنه يجوز الوصل، تقول ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ آل عمران: ٧ لأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل هذا القرآن العظيم، يعني تفسيره، وإن أردنا بالتأويل هنا حقيقة الشيء أو ما يؤول إليه الشيء فإنّه يجب القطع لأنّه لا يعلم حقيقة الشيء إلا الله سبحانه وتعالى، لا يعلم كنه صفات الله تعالى وأسمائه إلا

الله سبحانه وتعالى، لا يعلم حقيقة ما تؤول إليه الأمور إلا الله سبحانه وتعالى، قال ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾آل عمران: ٧.

ثم قال: (ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾آل عمران: ٧

يعني حقيقة هذا الأمر لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

لا شك أن هذه المسائل التي تحدثنا عنها سواءً منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات، أو منهج المتكلمين في الأسماء والصفات وهو الرد والتأويل والتشبيه والتمثيل والتفويض، وأيضاً اتباع المتشابه، هي من المسائل المهمة التي يجدر بكم العناية بها والإهتمام، لأن فهمها وإدراكها سيعيننا كثيراً على فهم وإدراك عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثم إنَّني ننبه هنا على مسألة مهمة وهو أنَّ بعض العلماء يذكرون أن أحاديث الصفات وآيات الصفات من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله سبحانه وتعالى، والصحيح أن آيات الصفات وأحاديث الصفات من المحكم الواضح البيّن الذي يعيه كل من يستمع إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ، بل إن الجويني رحمه الله سبب تركه لعلم الكلام وإقباله وتحوله هو أنه قال: إن النبي ﷺ كانت تتنزل عليه آيات الصفات، ويبيّن آيات الصفات للصحابة الكرام رضي الله عنهم وفيهم الأعرابي وغيره وفيهم البليد والذكي، ومع هذا لم يقل النبي ﷺ في يومٍ من الأيام: آمنوا بظواهر هذه الآيات ولا تؤمنوا بمعانيها، فآيات الصفات وأحاديثها ليست من المتشابه بل هي من المحكم الواضح البيّن قد يشتبه على البعض لكنه في الأصل من الأمور الواضحة البينة، ثم بعد ذلك ساق رحمه الله تعالى جملة من النصوص عن أئمة الهدى الذين يقتدى بهم في بيان منهج السلف الصالح في أسماء الله وفي صفاته..

الدرس الثالث

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي ﷺ: { إن الله ينزل إلى سماء الدنيا }' و {إن الله يرى في القيامة}، وما أشبه هذه الأحاديث فقال عنها رحمه الله نؤمن بها، ونصدق بها لا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن.

هذ كلام نفيس وعظيم، لإمام أهل السنة والجماعة الصديق الثاني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وهو في هذا يبين منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع نصوص الأسماء وصفات.

كيف نتعامل مع نصوص الأسماء والصفات ؟

قال: نؤمن بها، وهذا من عقائد أهل السنة والجماعة، أنهم يؤمنون بما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٣٦، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧، ويقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ النساء: ٥٩، والنبي ﷺ قال: **(فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)**[1] فالإيمان بها المراد به: التصديق الجازم الذي لا يلحقه شك.

(١) سنن أبي داود (٤/٣٢٩).

قال: ونصدق بها.

قال: لا كيف ولا معنى، هذه أيضاً من المسائل التي تؤخذ على الإمام ابن قدامه رحمه الله كما تقدم أنه انتقد عليه أنه قال: نؤمن بها لفظاً لا معنى وقلنا إن عقيدة أهل السنة والجماعة: أن نؤمن بأسماء الله وبصفاته بألفاظها وبمعانيها.

ومنهج أهل السنة والجماعة: أنهم يؤمنون بهذه الأسماء والصفات ويثبتون ألفاظها ومعانيها، والذي جعل بعض العلماء يقول إن طريقة السلف هي إثبات الألفاظ دون المعاني هو ماورد في مثل كلام الإمام أحمد رحمه الله هنا قال: لا كيف ولا معنى.

وورد عبارات عن بعض العلماء قالوا نمرها كما جاءت،

وورد عن بعض العلماء قالوا: لا نفسر معناها

وغيرها من الألفاظ التي فهموا منها أن السلف يثبتون الأسماء والصفات ولا يثبتون المعاني التي أثبتها الله سبحانه وتعالى

ولا شك أنه يجب حمّل كلام العلماء على المحكم منه، فالعلماء في كلامهم محكم ومتشابه فحينما نريد أن نرد هذا المتشابه مثلاً: في كلام الإمام أحمد رحمه الله يجب أن نفهم هذا السياق في ظل عقيدته التي بينها في كتبه رحمه الله تعالى رحمةً واسعة وما نقلها عنه تلاميذه، وهذه اللفظة ومثلها لفظة نمرها كما جاءت لم ترد عن الإمام أحمد فقط في مقام الأسماء والصفات، الإمام أحمد رحمه الله أيضاً حينما تحدث مثلاً: عن قول النبي ﷺ: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)**[1]، وفي قول النبي ﷺ: **(اثنتان في الناس هما بهم كفر)**[2]، قال نمرها كما جاءت، فهذه الألفاظ ليست خاصة بالأسماء والصفات عند الإمام أحمد رحمه الله ولا عند غيره من أئمة السلف وإنما مراده بقوله رحمه الله: لا كيف ولا معنى، أنه لا كيف هذا واضح أننا لا نكيف صفات الله سبحانه وتعالى وكما قال الإمام مالك رحمه الله: الإيمان بها واجب والسؤال عنها بدعة، ولا أراك إلا مبتدعاً ثم أمر به وأخرجه رحمه الله، قال الإيمان به واجب والكيف مجهول إذن الكيف كنه هذه الصفة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى لكن معناها هو

---

(١) صحيح البخاري (٦/٢٩٢).

(٢) صحيح مسلم (١/٥٨).

المعنى المتبادر إلى أذهان البشرلكن على قاعدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١ قوله رحمه الله ولا معنى، مالمراد بها ؟،

المراد بها أنه رحمه الله أراد من هذه العبارة لا كيف ولا معنى أن يرد على نوعين:

١- أن يرد على أهل التعطيل.

٢- أن يرد على أهل التأويل.الذين أولوا نصوص الصفات بغير تأويلها الذي أراد الله عز وجل، فقالوا الاستواء هو الاستيلاء، وقالوا: الرحمة هي إرادة الثواب، والغضب هو إرادة الانتقام فهم يؤلونها إلى معاني باطلة، فقال رحمه الله: بلا كيف ولا معنى أي معنى باطل لم يرد في كتاب الله ولم يرد في سنة رسوله ﷺ،

قال رحمه الله: ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ماجاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ، هذا أيضاً فيه إثبات القاعدة أن أسماء الله وصفاته توقيفية، نثبتها كما أثبتها الله لنفسه وكما أثبتها له رسوله ﷺ،

قال: ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، وهنا قاعدة وهو أن الأصل في إثبات الأسماء والصفات أنها توقيفية، يجب أن يكون إثباتها مبنيٌ على كتاب الله و سنة رسوله ﷺ، فلو أراد إنسان الآن أن يقول: أنا سأطلق اسما جديداً على الله عز وجل أو أطلق صفةً جديدة وهذه الصفة قد يكون معناها حقا لكنها لم ترد في القرآن ولا في السنة فهل يجوز لنا أن نصف الله عز وجل بها ؟ مثلاً: المهندس يقولون الله عز وجل مهندس هذا الكون، يعني هو الذي أحكمه بهذا الإحكام العجيب ؟

نقول المعنى صحيح لكننا لا يجوز لنا أن نثبتها لله عز وجل، أيضاً يقولون الصانع، الصانع أيضاً المعنى صحيح لكن لا يجوز أن نثبتها لله عز وجل اسماً ولا صفة لأنها لم ترد في القرآن ولا في السنة لكن يجوز الإخبار بها عن الله لأن باب الصفات أوسع من باب الأسماء فكل اسمٍ نثبته لله عز وجل فإننا نثبت معه صفةً لله عز وجل بالإضافة إلى الصفات التي تثبت بنصوص القرآن والسنة، وباب الإخبار عن الله أوسع من باب الصفات، فهذه إذا أتت في سياق الوعظ والإرشاد وليس المراد بها إثبات الصفة لله عز وجل فنقول هذا من الإخبار عن

الله عز وجل وإذا كان المعنى صحيحاً فإنه يقبل الإخبار به عن الله ولكن لا نثبته اسماً ولا صفةً لله سبحانه وتعالى.

على سبيل المثال: لفظ القديم يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: قديمٌ بلا ابتداء، فهل نثبت لله عز وجل الاسم القديم ؟ أولاً ما معنى القديم، القديم هو المتقدم على غيره، وهذا التقدم إما أن يكون مطلقاً وإما أن يكون نسبياً يعني تتقدم على غيرك في شيء معين وليس في كل الأشياء، وإما أن يكون مطلقاً فالله عز وجل لا شك أنه كما قال سبحانه وتعالى ﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ** ﴾الحديد: ٣، فهو سبحانه وتعالى ليس قبله شيء، فالأخبار عن الله عز وجل بأنه قديم يصح إخباراً ولكن لا يصح أن نسمي الله عز وجل أو نصفه بالقديم لماذا ؟

أولاً: لم يرد في القرآن و السنة لفظ القديم.

ثانياً: أن لفظ القديم يحتمل معناً فيه مدح ويحتمل معناً ليس فيه مدح، وأسماء الله عز وجل وصفاته كلها حسنى أي بالغة الحسن.

ثالثاً: أنها لا يدعى الله عز وجل بها، فهل يقال: يا قديم ارحمنا واغفر لنا وعافنا واعف عنا ؟ لا يدعى بها.

فما دام أنها لم ترد في القرآن ولا في السنة وتحتمل معناً باطلاً لا يليق بالله عز وجل ولا يدعى الله سبحانه وتعالى بها، فلا نثبته من الأسماء ولا نثبته من الصفات ولكن يجوز الإخبار به عن الله سبحانه وتعالى وهو معنى ﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ الحديد: ٣، وهو معنى أيضاً: **(اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء)**[1]

قال رحمه الله: بلا حدٍ ولا غاية، هذه من الكلمات التي يستخدمها المتكلمون، يقولون: بلا حدٍ ولا غاية ما المراد بلا غاية أولاً ؟

أي أن هذه الأسماء والصفات التي نثبتها لله عز وجل ليس لها غاية فعلم الله سبحانه وتعالى ليس له غايه، فالله عز وجل علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا**

(١) صحيح مسلم (٧٨/٨).

﴿بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ الكهف: ١٠٩، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ لقمان: ٢٧، لو أخذنا أشجار الأرض وقلمناها وأصبحت على هيئة أقلام وأتينا بمياه الأرض، بمياه البحار وجعلناها أحباراً لهذه الأقلام لنفدت هذه الأحبار قبل أن تنفد كلمات الله سبحانه وتعالى.

وقوله: بلا حدّ، بلا حدّ هذه من الألفاظ التي يتوقفوا في إثباتها على توقف المعنى مثلها مثل الجهة، والحدّ، والأعراض وغيرها، فنقول لهم ما تريدون بمعنى الحدّ ؟ فإن قالوا المراد بالحدّ هو أن الله عز وجل مباينٌ عن خلقه رداً على أهل الحلول الذين قالوا إن الله عز وجل يحلّ في البشر كما قال شاعرهم:

هو الله والله أنا نحن روحان حللنا بدنا

هذا الحلول أراد أن يرد عليه بقوله بلا حدّ يعني الله عز وجل في السماء في العلو سبحانه وتعالى ولا يحّل في شيء من مخلوقاته فإن كان المقصود بالحدّ هذا المعنى وهو التباين بين الخالق والمخلوق والرد على الصوفية وغيرهم فنقول هذا المعنى صحيح، وإن قالوا الحدّ المراد أن ننفي استواء الله لأنّ بعض المتكلمين يقصد بقوله بلا حدّ يريد أن ينفي بها استواء الله عز وجل على عرشه، قال لأنه إذا استوى على عرشه معناه أنه سبحانه وتعالى يحدُه العرش فإذا كان العرش يحّده فإن هذا من صفات المخلوقين.

نقول إذا كان المراد بالحدّ هو هذا المعنى وهو نفي الاستواء فإن هذا المعنى باطل، إذن هذه الألفاظ إذا قرأتموها فهي تحتمل حقاً وتحتمل باطلاً في النهاية لا نثبت اللفظ، ولكن نتحرى في المعنى ونبين الصواب فيه.

قال رحمه الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ هذه الآية هي قاعدة من قواعد الأسماء والصفات، قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا ردٌ على المشبهه والمجسمه وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، المشبهة الذين قالوا إنّ الله يشبه خلقه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌ على نُفات الصفات، وهي من أعظم الآيات لأن صفة السمع والبصر يشترك

فيها أكثر المخلوقات فتجد النملة، وتجد النحلة، وتجد الحيوانات على اختلافها، وتجد الإنسان كلهم يتصفون بصفة السمع والبصر لكن صفاتهم متباينة، فهذا سمعه غير هذا، وهذا بصره غير هذا، فإذا كان هذا في حق المخلوقات فكيف بالخالق سبحانه وتعالى، فإثباتنا السمع والبصر لله عز وجل لا يقتضي أننا سنشبه الله جل وعلا بخلقه لأننا في قرارة أنفسنا نعلم أنّ الله عز وجل ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى.

ما معنى الكاف في كمثله ؟

القول الأول: أن الكاف في اللغة زائدة وبعض العلماء يتحفظ من كلمة زائدة ويقول هي صلة، والزيادة في القرآن ليس معناها أن هذا الحرف ليس له معنى، بل الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى،

فما معنى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ؟ هو من باب التأكيد كأنه يقول: ليس مثله شيء، ليس مثله شيء، ليس مثله شيء فبدلاً من هذا التكرار أتى بهذا الحرف الذي يفيد أهل اللغة وأهل العربية هذا المعنى وهذا التأكيد.

المعنى الثاني: معناها ليس مثل مثله شيء وهذا ليس فيه إثبات المثل وإنما فيه مبالغة في نفي أن يشبهه أحد من خلقه سبحانه وتعالى

القول الأول في زيادة الكاف في كمثله على أنها صلة بمعنى أن فيها تأكيد، لعله يكون هو القول الأكد وهو مثل قوله: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ البلد: ١، فهل اللام هنا لنفي القسم ؟ لا هي زائدة معناها أقسم بهذا البلد، أقسم بهذا البلد، فأتي بها للتأكيد.

قال رحمه الله: ونقول كما قال: يعني كما قال الله عز وجل، ونصفه كما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك لأن الله عز وجل هو أعلم بنفسه ورسوله ﷺ أعلم بربه عز وجل، لا نتعدى ذلك لا نضيف من قبلنا أسماء أو صفات.

قال: لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، كما تقدم معنا في الجملة الماضية في الدرس الماضي أنّ الله سبحانه وتعالى، لا يشبهه أحدٌ من خلقه وأنّه مهما فكر العبد بعقله فلن يصل إلى معرفة كنه صفات الله عز وجل ومهما فكر في قلبه كذلك فلن يصل إلى هذا

الأمر لأن هذا الأمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، **قال: لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير.**

قال رحمه الله: نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه كلٌّ من عند ربنا، ولا نزيل عنه صفةً من صفاته لشناعةِ شُنعة.

هذا من الأمور العظيمة وهي مما امتحن فيه أهل السنة والجماعة تعلمون المبتدعة وصفوا أهل السنة والجماعة بصفات، فسموهم الحشوية، وسموهم المجسمة، والآن يسمونهم بالوهابية، وغيرها من الألفاظ التي تطلق من أجل تحذير الناس منهم يقول الأمام أنه مهما ابتلينا بشناعة المشنعين فلا يجوز لنا ولا يحق لنا أن ننفي عن الله عز وجل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ وهذا الجملة من الإمام رحمه الله وهو الخبير بها والذي صبر في ذات الله سبحانه وتعالى فقد ناله من الأذى ومن الضرب من أجل أن يقول إن القرآن مخلوق غير منّزل فأبى رحمه الله رحمةً واسعة، تعلمون المحنة العظيمة التي مرت بالإمام حتى كان رحمه الله يناظر مرة فإذا غلبهم في المناظرة أوقعوا عليه سوط الجلاد، يقول الجلاد والله لقد ضربت أحمد ضرباً لو ضربت بعيراً لخّر ميتاً، يقول كنت أضربه بالسوط فأرى لحمه يتطاير أمامي، يقول الإمام أحمد كنت مرةً في السجن فقيل لي: إنك ستجلد الآن، فقال لي أحد من معه، يا إمام: اصبر واثبت فإنك على الحق، فإنك إن زللت بكلمة فإن الأمة من ورائك ستظل، فقال: ولكني أخشى ألا أطيق جلد الجلاد،

يقول الإمام أحمد فبينما أنا أتحدث التفت إلي أحد اللصوص، كان معه في السجن، قال يا إمام والله لقد دخلت السجن وخرجت، وجلدت أكثر من مرة من أجل السرقة وصبرت عليها، أفلا تصبر أنت على الحق، فكان الإمام أحمد رحمه الله يذكر خبره ويترحم عليه.

قال: ولا نتعدى القرآن والحديث هذا هو منهج أهل السنة والجماعة أن الأصل هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا نعلم كيف كنهه، كنه الصفة مجهولة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن، وهذه كما ترون كلمات جميلة تكتب بماء العيون من الإمام رحمه الله تعالى رحمةً واسعة وهو يصف منهج أهل السنة والجماعة.

قبل أن أنتقل إلى الإمام الشافعي أؤكد على أننا في الأصل في الاعتقاد أن نأخذ بمحكم كلام الأئمة رحمهم الله فإذا وجدنا أن لبعض الأئمة في عبارة من العبارات، أو في موقف من المواقف ذكر أمراً قد يخالف أو هو له تأويل لما كتبه في مؤلفاته وفي كتبه الأخرى فإن الأصل أن يحمل كلام الأئمة على ما عرف عنهم من عقيدتهم ومن منهجهم وهو منهج أهل السنة والجماعة.

قال رحمه الله تعالى: قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قال آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله ﷺ.

ما المراد بالآل، آل النبي ﷺ قيل هم قرابته، والصحيح أن آل النبي ﷺ هم قرابته وهم أعوانه وأنصاره كما دلت على ذلك اللغة وكما قال الأول:

لو لم يكن آله إلا قرابته صلى المصلي على الطاغي أبي لهبِ

فالمراد بآله قرابته ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فصحابة النبي ﷺ، يواجهون هجمة من الإمامية وغيرهم فيجب أن نثبت هذا الأمر وأن نذكره في خطبنا وفي دروسنا وفي محاضراتنا وأن نعلم أبنائنا فضل صحابة النبي ﷺ وأن نكثر من قوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين..

وهذا النص من الإمام واضح وبين لأننا نؤمن بأن ماورد في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ على مراد الله وعلى مراد رسوله ﷺ، وهنا المفوضّة قالوا: هذا دليل على أن الإمام الشافعي يفوّض نقول: لا، هو يثبت المعنى الذي أثبته الله وأثبته رسوله ﷺ.

قال: وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله. وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ**(فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)**[1].

(١) سنن أبي داود (٤/٣٢٩).

هذا الكلام من الإمام رحمه الله يؤكد فيه منهج السلف الصالح، قال وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، السلف من هم السلف ؟

بالأمس أستمع إلى مقابلة لأحد العلماء في بعض البلاد العربية، ويقول إنّ السلفية هي مذهب جديد أحدث قبل مائتي سنة فقط، ولا شك أن هذا الكلام باطل وكلام لا يمت إلى الحقيقة بصلة، السلفية ليست منهج لحقبة زمنية قريبة، سواءً قصد بها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، أو قصد بها الإمام ابن تيمية رحمه الله، وإنما السلفية منهج أمرنا النبي ﷺ بالتمسك به، فقال ﷺ: (**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)[1]، فالسلفية هي منهج يقدم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الأقوال والأعمال والسلوك على فهم سلف الأمة الصالح رضي الله عنهم، والمقصود صحابة النبي ﷺ، وسبب أن السلف يقدمون فهم الصحابة في نصوص القرآن والسنة لإنهم كانوا أقرب الناس إلى الرسول ﷺ، وأعرف الناس بلغة العرب ونحو ذلك، فالسلفية ليست منهج جديد أحدث قبل فترة من الزمن أو مع قيام الدولة السعودية الأولى أو غيرها، بل هو منهج له خطوط عريضة أهم خطوطهِ أنه الإيمان بما جاء في القرآن وفي سنة النبي ﷺ على فهم سلف هذه الأمة الصالح كون أن يخرج الآن جماعات يكفرون الناس أو يعتدون على الخلق بإسم السلفية أو نحو ذلك فهذا لا يبرر أن السلفية عقيدة جديدة وعقيدة باطلة، هي عقيدة تقوم على فهم كتاب الله وفهم سنة النبي ﷺ على منهج سلف هذه الأمة الصالح نحن لا نتعصب إلا لإسم واحد وهو الإسلام ومنهج النبي ﷺ، لكن السلفية كمنهج هي هذا الذي ذكرته لكم وحدثتكم عنه، قال: على هذا درج السلف، الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم وأئمة الخلف الذين ساروا على ما سار عليه الصحابة رضوان الله عنهم، على ماذا درجوا ؟، قال: كلهم متفقون على الإقرار بالإيمان بأسماء الله وصفاته، والإمرار هذه أيضاً من الكلمات التي تحتمل فهمين، إما أن تحتمل إمرارها بلا معنى وهذا لعل الإمام لا يقصده، لعله يقصد الإمرار هو إمرار المعنى كما

(١) المصدر السابق.

بينه السلف الصالح رحمهم الله، قال: والإثبات هذا فيه إثبات الأسماء والصفات لما ورد من الأسماء والصفات في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله، وقد سبق بيان معنى التأويل وذكرنا لكم أن له ثلاثة معاني، إما أن يراد بالتأويل هو حقيقة الشيء أو ما يؤول إليه الإمر كما قال الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ الأعراف: ٥٣، أي حقيقته، وأيضاً ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾ يوسف: ١٠٠، أي هذا حقيقة الرؤيا، أو يراد به التفسير كما يقول الإمام الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن، يقول: القول في تأويل قوله تعالى كذا ثم يبدأ يفسر، أو المعنى الثالث ما ذكره المتكلمون هو صرف اللفظ من الإحتمال الراجح إلى الإحتمال المرجوح لدليل يقترن به،

وذكرنا أن التأويل إذا اجتمعت فيه الشروط فإنه يصح، وذكرنا لذلك مجموعة من الشروط:

الأول: أن يكون هذا التأويل مبني على لغة العرب.

الثاني: أن يدل القرآن عليه.

الثالث: أن لا يوجد له معارض من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ.

والمراد من غير تعرض لتأويله هذا هو الذي يبين أن الإمام رحمه الله لم يقصد ما ذهب إليه المفوضّة، فالمراد من غير تعرض لتأويله، التأويل الباطل الذي ذكرنا لكم طرفاً منه، بعد ذلك

قال: وقد أمرنا بالإقتفاء لآثارهم، آثار من؟ السلف الصالح والاهتداء بمنارهم بنصوصهم وبأعمالهم وأقوالهم وأفعالهم رضي الله عنهم.

وأول هؤلاء السلف الصالح هم صحابة النبي ﷺ.

قال وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات، النبي ﷺ حذرنا من البدع ومن إحداث أمرٍ في الدين لم يأذن به، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)**[1]، فالنبي ﷺ حذرنا من الابتداع في الدين وأعظم

(١) صحيح البخاري (٣٦/٧).

الإبتداع في الدين الابتداع في أمور العقيدة، ثم الابتداع في أمور العبادات، البدعة كما يعرفها الإمام الشاطبي رحمه الله قال: (هي طريقةٌ في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد من السير عليها المبالغة في التعبد) هذا من أجمع التعاريف التي عرفت بها البدعة، وهنا ذكر قول النبي ﷺ حاثاً أمته على التمسك بالسنة ومحذراً لهم من البدع والمحدثات التي تنشأ في آخر الزمان قال: **(فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)**[1]، البدع تسير بصاحبها إلى الهاوية والعياذ بالله عز وجل.

وقد حذر الإمام البهبهاري رحمه الله من البدع، وقال: اعلم أن الناس ما أحدثوا في الدين من بدعة إلا وقد نقصوا من السنة مثلها، تظهر البدع وتختفي السنن وهذا لا شك أنه نذير شؤمٍ على هذه الأمة.

وأيضاً حذر رحمه الله تعالى رحمةً واسعة من الإغترار بصغار البدع يقول صغار البدع يغتر به صغار الناس ثم بعد ذلك تصبح فيما بعد كبيرة ودينٌ يدان الله سبحانه وتعالى به، وإن من أعظم الأمور التي يدعوا إليها العلماء والصالحون هو أن يدعوا الناس إلى الإلتزام بسنة النبي ﷺ وأن يحذروا الناس من البدع ما ظهر منها وما بطن، فديننا قد أكمله النبي ﷺ ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾المائدة: ٣، وهذا الأمر وهو إكمال هذا الدين هو من الأمور العظيمة التي كان الأئمة يناظرون بها أهل البدع، فإذا أتوا ببدعة قالوا هذه البدعة هل علمها النبي ﷺ ؟ فإن قالوا: لا، قالوا: أمرٌ لم يعلمه النبي ﷺ فكيف علمتموه، وإن قالوا: نعم نقول: هل دعى إليه النبي ﷺ ؟ فإن قالوا: لا، نقول: أمرٌ لم يعلمه النبي ﷺ ولم يدع إليه فلماذا تدعون إليه ؟، ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ.

---

(١) سنن أبي داود (٤/٣٢٩).

قال رحمه الله: وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه، ابن ام عبد الذي عرف بالقرآن وكان معروفا بوصاياه العظيمة والنافعة وعهد ابن ام عبد من العهود ومن الوصايا العظيمة التي يستحسن لطلبة العلم أن يحرصوا عليها، وأن ينظروا فيها، وأن يأخذوا بما ذكره رضي الله عنه.

قال: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، لسنا في حاجة إلى أن نزيد في هذا الدين ما لم يأذن به الله عز وجل فقد كفانا الله عز وجل ورسوله ﷺ مؤونة ذلك.

قال رحمه الله: وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه كلاما معناه: قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منها ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

رحم الله عمر بن عبدالعزيز فقد كان من أئمة الهدى وأعلام المسلمين الذين أقاموا الحق والعدل بين هذه الأمة، وضرب لنا أروع الأمثلة في الإستقامة على منهج الله عز وجل وعدم الإغترار بالدنيا فقد كان هذا الرجل من أعظم الناس إيماناً ويقيناً وكان كلما اعتلى في هذه الدنيا كلما تواضع لله عز وجل وكما قال الأول:

تواضع تكن كنجمٍ لاح لناظرٍ ... على طبقات الماء وهو رفيعُ

ولا تكن كدخانٍ يعلو بنفسه ... في طبقات الجو وهو وضيعُ

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله من أئمة العبادة والزهد والورع والعدل والعلم، وله مع أهل البدع ومع المتكلمين مواقف عظيمة فإنّه كان يحاجهم ويناظرهم ويفحمهم ويبين لهم الحق بدليله وحينما ذكرنا لكم أن المنهج السلفي هو في معناه العام هو السير على ما كان عليه صحابة النبي ﷺ بين رحمه الله هذا المعنى بقوله: قف حيث وقف القوم، يعني بهم صحابة النبي ﷺ، فإنّهم عن علمٍ وقفوا، وببصر نافذٍ كفوا، وهذا يذكرنا بأمر أن من يحدث

أمراً في دين الله ثم يأتي ويقول لك هذه طريقة السلف مثلاً: يقولون التفويض هو طريقة السلف وبيان المعاني هي طريقة الخلف، وطريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، نقول لا، طريقة السلف هي أسلم وأعلم وأحكم هذا هو المنهج الحق الذي يجب أن تسير عليه هذه الأمة وإلا فكيف يقال إنّ من بعد الصحابة رضي الله عنهم، هم أكثر منهم علماً وأكثر منهم حكمة، فإنّهم عن علمٍ وقفوا، وببصر نافذٍ كفوا، البصر المراد به هنا البصيرة، بصيرة العقل وبصيرة القلب.

قال: ولهم على كشفها، أي وهؤلاء القوم كانوا على كشفها أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم الآن يناقشهم حدث بعدهم، يعني هذا الأمر لم يحدث في عصر الصحابة، قال: فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنتهم، والنبي ﷺ قال: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)**[1]، وابن مسعود رضي الله عنه ابن أم عبد الذي سقنا كلامه قبل قليل قال: اتبعوا ولا تبتدعوا، قال رضي الله عنه وأرضاه، قال: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب رسول الله ﷺوسلم كانوا خير هذه الأمة قلوبا وأكثرها علما قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ.

قال: فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي يعني في هذا العلم، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر. لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

أراد أن يثبت رحمه الله تعالى في هذه المقالة أمور:

الأمر الأول: أثبت أنّ علم السلف رضي الله عنهم هو العلم الأسلم والأكمل والأهدى طريقةً رضي الله عنهم.

ثم بين رحمه الله أنهم ما تركوا ما تحدث فيه من بعدهم إلا لعدم الحاجة إليه وهذا دليل على فقههم وورعهم رضي الله عنهم.

---

(١) سنن أبي داود (٣٢٩/٤).

الأمر الثاني: ثم أثبت أنّ منهج السلف الصالح هو المنهج الوسط الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ البقرة: ١٤٣، والوسط هم الخيار العدول رضي الله عنهم، فغلا قوم في هذا الدين فحذر النبي ﷺ منهم، وجفى آخرون عن هذا الدين وأعرضوا عنه، وكان الصحابة رضي الله عنهم بين هؤلاء لا إفراط ولا تفريط، وللسيوطي رحمه الله كتاب جميل اسمه: الجواب الذي انضبط في لا تكن حلواً فتسترط ولا مراً فتعقى.

قال رحمه الله تعالى: وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي رضي الله عنه عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول.

هذا من الكلام العظيم الذي يرسم لك طريق ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم، فهو هنا يحث الناس على السير وإتباع آثار سلف هذه الأمة، وإتباع آثار سلف الأمة قد يواجه فيه الإنسان بالرفض يرفضك الآخرون، قال اثبت عليه لأنّه هو الحق الذي يجب أن نثبت عليه.

وإذا تذكرون في كتاب الأصول الثلاثة ذكرنا لكم في أول الكتاب: اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة اليه.

الرابع: الصبر على الأذى فيه.

فيحتاج طالب العلم الذي ينشر منهج سلف الأمة ويتبع عقيدة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، يحتاج إلى أن يصبر إلى أن يثبت، يحتاج إلى صبرٍ في تعلمه وتعليمه ودعوته، ويحتاج إلى صبرٍ إذا ناله أذىً أو سخرية، ويصبر الإنسان نفسه بأن الصحابة رضي الله عنهم نالهم من الأذى ما نالهم في ذات الله، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أشد الناس بلاءً.

قال: وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول.

أحياناً يأتيك شخص صاحب حجة وصاحب طريقة في العرض والكلام فيزين لك بدعة من البدع كما يأتون فيزينوا بدعة المولد، فيزينوها ويزخرفوها بالقول وحسن الكلام فهذه قال: وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، وعلى هذا فإن الحق يعرف بالدليل ولا يعرف

بالرجال، الحق يعرف بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا يقودنا إلى أن نحرص على أن الحق والخير الذي بين أيدينا أن نقدمه للناس بعد أن نزخرفه بالقول ليكون كالسحر الحلال الذي ورد في بعض الأحاديث (**إن من البيان لسحرا**)[1].

قال رحمه الله: وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أو لم يعلموها ؟ قال لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت ؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم ؟ قال: بلى وسعهم، قال فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه سلم وخلفاءه لا يسعك أنت ؟ فانقطع الرجل. فقال الخليفة - وكان حاضرا -: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم. وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت، فلا وسع الله عليه.

هذا من الأجوبة المفحمة، وهناك عناية للعلماء بمثل هذه الردود وبمثل هذه الأقوال التي ترد شناعة المشنعين وبدعة المبتدعين، وقبل أن أتحدث عن هذا أتذكر كلمة جميلة للإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله وقد كان كبير القضاة فمر يوماً وكان إذا سار رحمه الله يسير بموكبٍ معه فاستوقفه يهوديٌ يعمل حداداً، فتوقف موكب ابن حجر رحمه الله، وقال: أيها القاضي، وهو في ثيابٍ ممزقة، وتعلمون الذي يعمل في الحديد كيف يكون وضعه، فقال: أيها الإمام نبيكم يقول: **(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)**[2]، فأي سجنٍ أنت فيه مع هذه الأبهة والعظمة وهذا الموكب، وأي جنةٍ أنا فيها، فقال رحمه الله: بالنسبة لما أعده الله لي في الجنة فأنا في سجن، وبالنسبة لما أعده الله لك في النار فأنت في جنة، فكان هذا من الأجوبة المفحمة والمسكتة.

---

(١) صحيح البخاري (٥٨/١٣).

(٢) صحيح مسلم (٢١٠/٨).

قال رحمه الله: قال محمد ابن عبد الرحمن الأدرمي:

الصحيح هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن محمد الأذرمي، بالذال وليست الأدرمي وقد روى هذه القصة الإمام الذهبي رحمه الله، والخطيب البغدادي، الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأذرمي، قال لرجل تكلم ببدعة: القصة حدثت في عهد الخليفة الواثق، في قصة خلق القرآن، وكان المناظِر الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله الأذرمي، والمناظَر هو زعيم المبتدعة أحمد ابن ابي دؤاد الذي عذب المؤمنين فدعوا عليه دعاءً عظيم، وقد كان ابن أبي دؤاد قريباً من الخليفة فزين له القول بخلق القرآن، وزين هذا الأمر لمن بعده فاستمر ثلاثة خلفاء في الدولة العباسية كلهم يمتحنون الناس في هذه القضية، - خلق القرآن-، فكل من لم يؤمن بخلق القرآن فإنه يعزل عن القضاء إن كان قاضياً، ويعزل عن التدريس إن كان عالماً، وبدأ أهل السنة والجماعة في امتحانٍ عظيم، ولم يثبت منهم إلا القليل بل إنّ بعضهم حتى يخرج من هذه الفتنة كان يقول: التوراة والإنجيل والزبور ويعدد ويقول كلها مخلوقة، ويقصد أصابعه ولا يقصد كلام الله سبحانه وتعالى من أجل أن يخرجوا أنفسهم كما قال الله ﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ** ﴾ النحل: ١٠٦، ولم يثبت إلا القليل وعلى رأس من ثبت الإمام أحمد رحمه الله، وكان من بين من ثبتوا الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأذرمي رحمه الله أُتي به مقيداً أمام الخليفة الواثق، فدخل وكان الإمام له شكلٌ حسن ولحيةٌ بيضاء وطول فاستحى منه الخليفة، فأدناه منه ثم قال له: يا إمام أريدك أن تناظر أحمد ابن أبي دؤاد، قال: إنّ أحمد ابن أبي دؤاد لا يستطيع وهو يضعف عن مناظرتي، فغضب الخليفة فقال: أتقول عن أبي عبد الله أنه يضعف عن مناظرتك، قال: دعه يناظرني يا خليفة المسلمين، قال: نعم، بدأت المناظرة فقال له الأذرمي: قال يا أحمد أخبرني هذا الأمر الذي امتحنت فيه المسلمين هل هو أمرٌ أمر به النبي ﷺ ؟، هل هو من الأمور العظيمة التي أمر بها النبي ﷺ ؟، قال: لا، قال للخليفة: هذه واحدة، قال الخليفة هذه واحدة، قال: هذا الأمر الذي امتحنت فيه المؤمنين، هل هو أمرٌ نّزل في كتاب الله سبحانه وتعالى ؟، لأن الله عز وجل قال: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾المائدة: ٣، فإما أن يكون الله

صادقٌ في إكماله، وإما أن تكون أنت صادقٌ في أن القرآن نقص منه ما تريد أن تذكره، فما رأيك ؟، فسكت فلم يجب، فقال للخليفة هذه الثانية: قال الخليفة هذه الثانية.

قال يا أحمد: هذا الأمر الذي دعوت الناس إليه أمرٌ علمه النبي ﷺ ودعى إليه، قال: لا، قال: أمرٌ علمه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ودعوا الناس إليه، قال: لا، قال: أمرٌ لم يأتي في القرآن، ولم يأمر به النبي ﷺ، ولم يدعوا اليه، ولم يدعوا إليه الخلفاء الراشدون، أفعلمته أنت وجهلوه، فسكت، فقال: يا خليفة المسلمين هذه الثالثة، ثم قال: فلا وسع الله على من لم يسعه ما وسعه رسول الله ﷺ، وأبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم جميعا، عند ذلك قال الخليفة: أدنوه مني، فدنى، الخليفة بعد هذا الموقف تغير موقفه من قضية القول بخلق القرآن، وبدأ التحول في حياته، فأمر الخليفة بإطلاق قيده فلما أطلق القيد وقف فتناوله الإمام، فآتى السجان ليأخذ القيد، فأخذه الإمام فقال الخليفة دعه، ما تريد به ؟، قال: يا خليفة المسلمين أريد أن آخذ هذا القيد، وأضعه في كفني لأحاسب هذا الرجل أمام الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، ففزع الخليفة فقال: اجعلني في حّل يا إمام، قال: أنت في حّل ونحن والله ندعوا لك، فقال له: يا إمام لي عندك طلب، قال: إن كنت أقدر عليه فبها، قال: أن تبقى بيننا، قال: ياخليفة المسلمين دعني أذهب إلى أهلي وولدي، فإني منذ فارقتهم وهم يدعون عليك، فأطلق الخليفة سراحه وذهب رحمه الله.

تأمل أولاً: إلى ابن أبي دؤاد وكيف استطاع أن يؤثر على خليفة المسلمين بتزيينه للباطل وأثر هذا الباطل ليس فقط على الخليفة وإنما على الأمة بشكل عام.

ثم تأمل أيضاً في هذا الموقف العظيم وهو أن الحجة والعلم هما السلاح العظيم الذي من خلاله نستطيع أن نثبت عقيدة السلف الصالح، ونثبت عقيدة أهل السنة والجماعة، هذه العقيدة تحتاج إلى علماء صادقين أقوياء أصحاب حجة ومدرسة عظيمة يستطيعون من خلالها أن يقارعوا الحجة بالحجة لأنّ صاحب الصوت الضعيف والحجة الضعيفة يضعف وإن كان قوله الحق، ولهذا قال الأوزاعي رحمه الله: وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول.

أيضاً من هذه الأمور تعامل الإمام رحمه الله مع خليفة المسلمين ودعائه له، وكما تعلمون أن الإمام أحمد رحمه الله أو ابن المبارك كان يقول: لو علمت أن لي دعوة مستجابة لجعلتها لخليفة المسلمين.

وهكذا قال رحمه الله: من لم يسعه ما وسعه أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان في أمور الأسماء والصفات، والإيمان بها، والإقرار بها، وإثبات معانيها فلا وسع الله عليه، لأنه لم يقبل ما جاء به الله وما جاء به رسوله ﷺ.

كما ترون هذه مجموعة من الآثار والآراء والأقوال لسلف هذه الأمة رحمهم الله تعالى الذين جمعوا بين العلم وبين العمل وجمعوا في هذه الكلمات القليلة على وجازتها، جمعوا هذه المعاني العظيمة، وما أحوج طالب العلم إلى حفظها وإدراك معانيها، ونشرها بين الناس فإنّها مما يثبت طالب العلم على الصراط المستقيم.

وكنّا في الدروس الماضية قد تحدثنا عن المقدمة الضافية والمهمة التي جعلها بين يديّ هذه العقيدة العظيمة، وهي لمعة الإعتقاد، وكان مجمل هذه المقدمة يتحدث عن أهمية أن يكون المرجع الأصيل في فهم عقيدة أهل السنة والجماعة هو فهمها على طريقة أهل السنة والجماعة، وعلى طريقة السلف الصالح، وكنّا قد تحدثنا عن قضية في غاية الأهمية وهي منهج السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) في إثبات الأسماء والصفات وبيّنا أن من المؤاخذات التي أخذت على الإمام وأخذت على جماعةٍ من أهل العلم كالإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم، والإمام ابن حجر في شرحه على فتح الباري، أخذ عليهم أنهم يظنون أن طريقة السلف كما يقولون هو: إثبات اللفظ وتفويض المعنى، وذكرنا أنَّ عقيدة السلف الصالح هي: إثبات اللفظ وإثبات المعنى؛ لأن الله – سبحانه وتعالى- خاطبنا بألفاظ نعيها ومعانٍ نعقلها، وهذه هي الحكمة من تدبرنا للقرآن العظيم كما قال الله – عز وجل-: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ص: ٢٩.

فإذا كنا مع هذه الألفاظ نفوض معناها إلى الله؛ فما معنى أن الله - عز وجل- أمرنا بتدبر كتابه الكريم؟ وكما قال -عز وجل-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢.

فعقيدة السلف الصالح هي: إثبات اللفظ وإثبات المعنى، أما ماورد عن السلف الصالح كالإمام أحمد - رحمه الله-، والإمام الشافعي من إثباتٍ للفظ وتفويضٍ للمعنى، أو السكوت عن المعنى وعدم التفسير، أو غيرها من الألفاظ؛ فإن المراد هو الرد على من يلغون المعاني الحقيقية التي أرادها الله -عز وجل- ويتأولون نصوص الكتاب والسنة على غير الطريقة التي أمر بها الله في كتابه، وأمر بها النبي ﷺ في سنته.

ثم بعد ذلك شرع المصنف - رحمه الله تعالى- في بيان جملةٍ من الأسماء والصفات الواردة في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

نسأل الله عز وجل أن يثبتنا وإياكم على الهدى والحق إنه جوادٌ كريم، وبإذن الله عز وجل في الدرس القادم نتحدث عن الأسماء والصفات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وطريقة أهل السنة والجماعة في إثباتها والرد على المؤولة، والمعطلة وغيرهم ممنّ ابتعدوا عن منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين....

الدرس الرابع

قال المؤلف – رحمه الله تعالى-: فمما جاء من آيات الصفات قول الله – عز وجل –: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾الرحمن: ٢٧.**وقوله – سبحانه وتعالى-:** ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المائدة: ٦٤.**وقوله – تعالى- إخباراً عن عيسى – عليه السلام- أنه قال:** ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾المائدة: ١١٦ **وقوله – سبحانه –:** ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾الفجر: ٢٢.**وقوله – تعالى –:** ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾البقرة: ٢١٠.**وقوله – تعالى –:** ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ البينة: ٨.**وقوله – تعالى-:** ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾المائدة: ٥٤**وقوله – جل وعلا – في الكفار:** ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾الفتح: ٦.**وقوله – تعالى –:** ﴿ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾محمد: ٢٨.

وقوله – تعالى-: ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾التوبة: ٤٦

هذه مجموعة من الآيات التي فيها إثبات لصفات الله – سبحانه وتعالى- وقبل أن نتحدث عن هذه الصفات التي أوردها المصنف – رحمه الله – نقول إن العلماء لهم في تقسيم الصفات اعتبارات؛ فباعتبار ثبوتها ونفيها يقولون: إن الصفات على قسمين:

١- **الصفات الثبوتية:** وهي التي أثبتها الله – عز وجل – لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ.

٢- **الصفات السلبية أو الصفات المنفية:** وهي التي نفاها الله – سبحانه وتعالى- عن نفسه، ونفاها عنه رسوله ﷺ.

وباعتبار ثبوتها يقولون: إن الصفات على قسمين، فمنها:

١- **الصفات الخبرية:** وهي التي وردت في القرآن أو في السنة ولا يثبتها العقل مثل: الوجه واليد؛ فهذه صفاتٌ خبرية، ومعنى قولهم أنها صفات خبرية معناه: أنها ثبتت بالخبر، ولم يدل عليها العقل.

٢- **الصفات العقلية:** وهي التي ثبتت بالخبر، وثبتت بالعقل. ثبتت بالسمع وثبتت بالعقل. السمع المراد به: القرآن والسنة؛ مثل: صفة الحياة. فالحياة تثبتها بالدليل الشرعي،

وتثبتها أيضاً بالعقل، كذلك صفة القدرة، وصفة المشيئة، والسمع، والبصر؛ فهذه كلها صفاتٌ عقلية ورد السمع والعقل باثباتها.

كذلك تقسم الصفات بحسب قيامها بالله – عز وجل– إلى ثلاثة أنواع:

١– **الصفات الذاتية**: وهي التي لا تنفك عن الله – عز وجل– وهي التي لازال الله – سبحانه وتعالى – ولم يزل متصفاً بها؛ كالوجه واليد، وغيرها؛ فهذه الصفات تسمى الصفات الذاتية.

٢– **الصفات الفعلية**، وتسمى أيضاً بالصفات الاختيارية: وهي التي يفعلها الله – عز وجل – إذا شاء مثل: المجيء، ومثل: الاتيان، ومثل: المحبة، والرضا، وكذلك يمثلون له: بالاستواء، وكذلك صفة الكلام لله – سبحانه وتعالى – ؛ فهي صفات أفعال.

٣– **الصفات الذاتية الفعلية**، مثل: الكلام. الكلام صفة ذاتية لله – عز وجل – بحيث أن الله – سبحانه وتعالى – لم يزل في الأزل متكلماً، وهي أيضاً فعلية: حادثة تتجدد؛ كما قال الله – عز وجل –: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ المجادلة: ١. لذا قال العلماء: إن صفة الكلام قديمة النوع، حادثت الآحاد. قديم النوع أي: أن الله – عز وجل – لم يزل متصفاً بها في الأزل، حادث الآحاد: أنها متجددة؛ كما قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النساء: ١٦٤. وكما سيأتي معنا – بإذن الله – في صفة الكلام.

فهذه هي التقسيمات التي يقسمها العلماء في صفات الله – عز وجل –، وهي بحسب التتبع والاستقراء؛ لكن من المهم لطالب العلم أن يعرفها، وأن يفقهها؛ خاصةً أن كلام العلماء أمثال: شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وابن القيم تجدون أن فيها هذه التقسيمات بشكل مكثف؛ وخاصةً أثناء رده على المتكلمين من الأشاعرة، والماتريدية، والكلابية، وغيرهم من أصحاب المذاهب والطرق الأخرى.

قال – رحمه الله تعالى – فمما جاء من آيات الصفات؛ قول الله – عز وجل –: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن: ٢٧. سبق أننا ذكرنا أن أسماء الله وصفاته – سبحانه وتعالى– هي وقفٌ لا تُثبت إلا بنصٍ من كتاب الله أو بسنة رسوله ﷺ وأن القاعدة العامة: هو أن نثبت لله ما أثبته

لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل نؤمن بأنه – سبحانه وتعالى –: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١.

قال – رحمه الله –: قول الله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾، هذه الآية فيها إثبات صفة الوجه لله – سبحانه وتعالى – وهي صفةٌ نثبتها لله عز وجل كما أثبتها لنفسه سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تأويل. وأيضاً من الآيات التي دلت على إثبات صفة الوجه لله – عز وجل – قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾القصص: ٨٨، في هذه الآية وهي قوله – تعالى –: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾، قال العلماء: إن الإضافة إلى الله – عز وجل – على نوعين:

١- إضافة المعاني.

٢- إضافة الذوات.

فإضافة المعاني مثل: السمع، والبصر، ليست ذوات قائمة بنفسها؛ فهذه إضافة صفةٍ لموصوفها وهو: الله – سبحانه وتعالى –. ومثل الحياة، الحياة معنى من المعاني؛ فإضافتها إلى الله – عز وجل– هي من باب إضافة الصفة إلى موصوفها.

النوع الثاني: إضافة الذوات، وإضافة الذوات قد تكون هذه الذوات قائمة بنفسها، وقد تكون غير قائمة بنفسها.

وإضافة الذوات على نوعين:

١- ذوات مستقلة بنفسها.

٢- وذوات غير مستقلة بنفسها.

الأول: الذوات المستقلة بنفسها مثل: قول الله عز وجل: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا﴾ الشمس: ١٣، فالناقة هنا ذات مستقلة بنفسها.

فإضافة الذوات إلى الله - عز وجل- المستقلة بنفسها هو من باب إضافة التشريف والتكريم، وليست من باب إضافة الصفة، مثل: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾ الشمس: ١٣ فهي إضافة تشريف وتكريم.

شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في رسالته الواسطية التي اُمتحن فيها إمتحاناً عظيماً، وعُقد له بعدها جلسة مناظرة؛ فقال لهم الإمام: سأمهلكم ثلاث سنوات، على أن تأتوني بآيةٍ أو حديثٍ قام الصحابة - رضي الله عنهم - بتأويله وصرفه عن معناه الذي أراده الله - عز وجل -. فاجتمعوا بعدها، فرأى الفرح في وجوههم؛ فقالوا: لقد وجدنا آية قد ورد فيها التأويل، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-: لعلكم تقصدون قول الله - عز وجل -: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١١٥، قالوا: نعم، نحن نقصدها، قال: إن السلف فسروا الوجه هنا: بالقبلة، فقالوا: ثَمّ القبلة، وهذا ليس من اختلافهم في إثبات صفة الوجه لله - عز وجل- وإنما هو لأن هذه الآية ليست من آيات الصفات.

هم يثبتون الوجه؛ لكن هذه الآية ليست من آيات الصفات وهذا يَرِد مثل قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٦، فبعض العلماء ذهبوا إلى أن في هذه الآية إثبات صفة الجنب لله - عز وجل -، وبعضهم قالوا: لا، إن سياق الآية يُقصد به: على ما فرطت في حق الله وفي طاعة الله، فحينما نقرأ في تفاسير السلف أمثال هذه الآيات ومثل قول ابن عباس - رضي الله عنهما - في: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ القلم: ٤٢، قال: الشدة، قالوا: هذا دليل على أن الصحابة كانوا يؤولون!

الآية ليست من آيات الصفات على من قال أنها ليست من آيات الصفات. فبعض الآيات هي ليست من الآيات التي يُستدل بها على الصفات حتى يأتي علينا من يقول أن السلف - رحمهم الله-كانوا يؤولون الصفات.

المعطلة الذين ينفون صفة الوجه عن الله – عز وجل – يقولون: إن المراد بقول الله – عز وجل –: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن: ٢٧، قالوا المراد: ويبقى ذات ربك! فيفسرون الوجه بالذات. كيف نرد عليهم؟ نقول: الله – سبحانه وتعالى – فرّق بين الذات وبين الوجه؛ فقال – سبحانه وتعالى – في ذاته: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن: ٧٨، وقال – سبحانه وتعالى– في الوجه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن: ٢٧ ففرّق الله – سبحانه وتعالى – بين الذات وبين وجهه

الصفة الثانية؛ قال: وقوله – تعالى –: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المائدة: ٦٤، هذه الآية فيها إثبات صفة اليد لله – سبحانه وتعالى– على ما يليق بجلاله – عز وجل–، المعطلة يقولون: إن إثبات اليد لله – عز وجل– فيه مشابهة للمخلوقين، ولهذا فإنهم ينفونها. فهم أقاموا في أذهانهم التشبيه أولاً، ثم بناءً عليه عطلوا هذه النصوص عما أراد الله.

قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾، اليد ورد إثباتها لله في القرآن على ثلاث أوجه:

١– إثباتها يداً واحدة؛ قال – سبحانه وتعالى –: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ الملك: ١.

٢– وورد أنها مثناة؛ كما قال وتعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ص: ٧٥.

٣– وردت مجموعة؛ كما قال – عز وجل –: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ يس: ٧١.

فوردت هنا مفردة، ووردت مثناة، ووردت مجموعة؛ فكيف نجمع بين هذه الآيات؟

المفرد إذا أضيفت في لغة العرب يراد به الجنس؛ فيشمل كل ما ثبت لله – عز وجل –، فأي آية تُثبت أكثر من يد فإنها تدخل فيها.

وأما الجمع في قوله عز وجل: ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ يس: ٧١، فإن العلماء يقولون هذه فيها أوجه:

١– إما أن نقول: إن الجمع هنا للتعظيم.

٢– أو أنه كما قال بعض الأصوليين: إن أقل الجمع اثنان.

٣- أو قالوا: إن العرب من عادتهم أن المثنى إذا أُضيف إلى ضمير جمعٍ؛ فإنه يُجمع لأجل خفة اللفظ، مثال ذلك في سورة التحريم ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾التحريم: ٤، كم قلب لهم؟ قلبان، ومع ذلك جمعت فهذه القاعدة: أن المثنى إذا أُضيف إلى ضمير جمعٍ فإن من عادة العرب أنهم يجمعونه لخفة اللفظ؛ فهذا هو الجمع بين هذه الآيات التي وردت في كتاب الله - سبحانه وتعالى -.

وهذه الصفة أيضاً دل عليها السنة فقد ورد عن النبي ﷺ (أن الله - عز وجل - يقبض السموات بيمينه، والأرض بشماله)، وأيضاً حديث الشفاعة حينما يأتون إلى آدم يوم القيامة؛ فيقولون: أنت أبونا، ثم قالوا: (خلقك الله بيده)، فهذه من الصفات التي يثبتها أهل السنة والجماعة.

المعطلة كيف يؤولون صفة اليد؟ يقولون: إن المراد باليد هي: النعمة أو القدرة، طيب نقول لهم: فماذا تقولون في قول الله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ص: ٧٥ ؟ سيكون كلامهم المراد: قدرتَيّ؛ فهل الله عز وجل له قدرتان؟! أو نعمتَيّ، ونحو ذلك. إذاً فتأويلها ليس عليه دليلٌ لا من كتاب الله، ولا من سنة رسوله ﷺ.

قال - رحمه الله -: وقوله تعالى إخباراً عن عيسى - عليه السلام - أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾المائدة: ١١٦، هذه الآية من آيات الصفات وفيها إثبات النفس لله على ما يليق بجلاله، لهذا لا يتوهم ضان أن إثباتنا لله سيكون كما تُثبت للبشر؛ فكما أنّ البشر جسدٌ وروح نقول إن الله مثل ذلك! لا، الله لا يشابهه أحد من خلقه، والقاعدة العامة أننا في إثباتنا لأسماء الله وصفاته لا نتوهم التشبيه، لا نظن أن الله - عز وجل- مثل خلقه؛ كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١، فهو أثبت لنفسه السمع وأثبت البصر، ومع هذا قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

ومما يدل على هذه الصفة قول النبي ﷺ: **(سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه)**[١]، وقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل -: **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)**[٢].

قال رحمه الله: وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ الفجر: ٢٢، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ٢١٠، صفات الرضا، والمحبة، والغضب، والسخط، والكراهة، كل هذه الصفات تُثبت لله على ما يليق بجلاله.

صفة المجيء والإتيان؛ مجيء الله يوم القيامة للفصل بين عباده ثابت بالقرآن والسنة، قال الله: ﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ** ﴾، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ** ﴾، وقول النبي ﷺ: **(حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى)**[٣].

المعطلة من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم يؤولون صفة المجيء والإتيان بأنّ المراد: مجيء أمره وإتيان أمره، والرد عليهم بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ** ﴾ الأنعام: ١٥٨، وقوله ﴿ **أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ** ﴾ الأنعام: ١٥٨، فالله - عز وجل - فرّق بين إتيانه، وبين إتيان بعض آياته.

هذه الصفات هي التي ذكرنا لكم أنها تسمى بالصفات الإختيارية، والصفات الإختيارية ينفيها المعتزلة، و الأشاعرة، والماتريدية، والكُلّابية، وغيرهم؛ لأنّ الصفات الإختيارية وهي التي يفعلها الله - سبحانه وتعالى - متى شاء، إذا شاء، يقولون إنّ في هذا حلول الأعراض، وأريدكم أن تركزوا معي في هذا المعنى؛ لأن من سيفهم الكلام الذي سأقوله سيُحل أمامه باب كبير في كتب العقائد، وخاصة في كلام المتكلمين وكيف يفهم كلام السلف الصالح الذين نفوا الصفات الإختيارية، قلنا لهم لماذا تنفونها؟ قالوا: لأن فيها حلول الأعراض، ما قصة حلول الأعراض؟

---

(١) صحيح مسلم (٨/٨٣).

(٢) صحيح مسلم (٨/١٦).

(٣) صحيح البخاري (١١/١٦٨)، صحيح مسلم (١/١١٥).

الجهم بن صفوان كان يناظر طائفةً من السومانية الذين ينكرون وجود الله ، فقالوا له: أثبت أن الله موجود؛ فقال لهم: الرطوبة، الحرارة، المرض، هذه أعراض تصيب جسم الإنسان، أليس كذلك؟ فكون هذه الأعراض حلت في هذا الجسم فهذا دليل على أن هذه الأجسام حادثة، وأنها مخلوقة ولو لم تكن مخلوقة لما حلت فيها الأعراض، هو الآن أثبت حلول الأعراض، لما أثبت لهم هذا الدليل، قالوا: إذاً، صِف لنا الله، فان قال: إن من صفاته: المحبة، والرضا، والغضب، ومن صفاته: اليد، والسمع، والبصر، فهذه الأعراض حلت في ذات، فمعناه أن هذه الذات مخلوقة، فيكون المعنى أن الله مخلوق تعالى الله عما يقولون فخشيت من هذا الفهم قال الله ليست له أي صفة إلا صفة الوجود، حتى يسلم من هذا الإعتراض، وهذا الدليل الذي يسمى دليل حدوث الأعراض هو من أعظم الأدلة فساداً، والتي أحدثت في هذه الأمة ضرراً عظيماً.

كان الناس قبل الكلابية على قسمين:

الأول: أهل السنة والجماعة الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الثاني: الجهمية والمعتزلة الذين ينفون عن الله الأسماء والصفات.

فأتى الكلابية فوافقوا أهل السنة في إثبات الأسماء والصفات، وخالفوهم في نفيهم الصفات الإختيارية؛ قالوا: لو أثبتنا الصفات الإختيارية فهذا فيه حلول للأعراض وهذا لابد من الطعن فيه. مالذي حمل الجهمية والمعتزلة على القول بحلول الأعراض؟ أرادوا أن يردوا على الفلاسفة الذين قالوا إنّ العالم قديم؛ قالوا: لا، العالم ليس قديم، العالم حادث لماذا؟ قالوا: فيه الليل وفيه النهار - أعراض - فيه الشمس، القمر - أعراض -، فحلت فيه فهذا دليل على أنه حادث. فأتى الفلاسفة فيما بعد فقلبوا الدليل عليهم! هذا الدليل دليل حلول الأعراض هو من أعظم الأدلة التي أتى بها هؤلاء وهم يظنون أنه الدليل الوحيد الذي نثبت فيه أن هذا العالم حادث. والرد عليهم كيف؟ نقول الرد: أن هذا الدليل لم يدل عليه قرآن ولا سنة، وقد دل العقل على بطلانه وفساده، فالله - عز وجل - في القرآن أثبت حدوث العالم بخلق المخلوقات، فالله يستشهد بخلقه للمخلوقات، فوجود الإنسان دليل على أن هناك خالق

وذاك الأعرابي،الذي ولا يقرأ، ولا يكتب، قيل له: كيف عرفت الله؟ قال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف الخبير؟! بلى تدل عليه، فالله - عز وجل - نصَّب لنا آيات وبراهين عقلية وشرعية تدل على وحدانيته وتفرده بالخلق، والإيجاد، والرزق، والإحياء، والإماتة.

ما حقيقة هذا الدليل كيف يستدلون به ؟ يقولون معرفة صدق الرسول متوقفة على معرفة المرسل، ومعرفة المرسل متوقفة على معرفة قِدمه، ومعرفة قِدمه متوقفة على حدوث العالم، وحدوث العالم متوقف على دليل حدوث الأعراض، شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- شبه هذا الدليل بمثال جميل، يقول: هؤلاء ككتيبة فيها أمهر الشجعان وأقواهم من الجنود والقادة، فقطع الإمداد، قطع إمداد السلاح، والطعام عن هؤلاء الجند فضعف الجيش ثم بعد ذلك سحبوا هؤلاء الجيش وأبقوا أضعفهم وأعطوه سلاحاً، وقطعوا عنه المؤونة والطعام والرزق، ثم قالوا له: اذهب فقاتل الأعداء، فكيف نظنه سيفعل؟! سيرجع مهزوماً إن رجع! فهذه من الأدلة الباطلة التي استدل بها الفلاسفة. طبعاً المفروض هذه القضية أنها تشرح لكم في شرح الواسطية، لكن أنا أحببت أن أشير إليها كمقدمات وبإذن الله - عز وجل - نفصل فيها أثناء حديثنا في شرح العقيدة الواسطية.

قال - رحمه الله تعالى -: وقوله عز وجل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾البينة: ٨، هذا فيه إثبات صفة الرضا لله - سبحانه وتعالى - وقد دل عليها أيضاً قول النبي ﷺ: **(إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها)**[1]، وقال ﷺ: **(إن الله يرضى لكم ثلاثا)**[2]،

قال - رحمه الله- وقوله - تعالى - في الكفار: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ المجادلة: ١٤، هذا فيه إثبات صفة الغضب لله - عز وجل -، وهنا فر المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من إثبات هذه الصفة، لأنهم توهموا ماذا؟ قالوا: إن الغضب هو ثوران دم القلب، فكيف نثبته لله؟ نقول:

---

(١) صحيح مسلم (٨/٨٧).

(٢) صحيح مسلم (٥/١٣٠).

إنما نفيتم لأنكم توهمتم أن إثبات صفة الغضب لله لا بد أن تكون مشابهةً للمخلوق والله بخلاف ذلك. إذا كان البشر يتفاوتون فيما بينهم في الغضب فكيف بالله سبحانه وتعالى وكيف ننفي ما أثبته الله عز وجل لنفسه؟! وفي الحديث أنّ النبي ﷺ قال: **(إن الله عز وجل يقول: إن رحمتي تغلب غضبي)**[١].

قال – رحمه الله –: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ محمد: ٢٨، هذا فيه إثبات صفة السخط لله – سبحانه وتعالى –، وقد دل عليها قول النبي ﷺ: **(اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك و بعفوك من عقوبتك)**[٢].

وكذلك قال بعد ذلك – رحمه الله –: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ التوبة: ٤٦، فيه إثبات صفة الكراهة لله – عز وجل –، وقال النبي ﷺ قال: **(إن الله يكره لكم ثلاثا)**[٣].

كيف يؤول المعطلة هذه النصوص؟ الرضا، والمحبة يفسرونها بمخلوقات منفصلة عن الله – عز وجل –، وتارة يقولون: المحبة هي: الثواب.

والكراهة أو الغضب هو: العقاب، وتارةً يفسرونها بصفة من الصفات التي يثبتونها لله؛ فيقولون: المحبة: إرادة الثواب، والغضب: إرادة الإنتقام، وكل هذه تأويلاتٌ لم يدل عليها دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ.

قال – رحمه الله تعالى–: ومن السنة، قول النبي ﷺ: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا) وقوله: (يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة).

انتقل – رحمه الله – لإثبات الصفات التي وردت في السنة، قال ومن السنة، السنة: سنة النبي ﷺ أمرنا الله – عز وجل – باتباعها واقتفائها؛ كما قال:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾الحشر: ٧، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾النساء:

---

(١) صحيح البخاري (٤١٨/١٨).

(٢) إرواء العليل (١٧٥/٢).

(٣) شعب الإيمان (٥٩/٦).

٥٩، فسنة النبي ﷺ هي وحيه؛ كما قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ - ٤. فسنة النبي ﷺ يجب لها ما يجب للقرآن من قداسة وإتباع و تقديمٍ على النفس والمال، وكما قال النبي ﷺ: (**أني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم بهما أو عملتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض**)[١].

وقد خالف في هذا المفهوم طوائف، فهناك طائفة اسمها: الطائفة القرآنية أو يسمون أنفسهم بالقرآنيين الذين لا يقدمون إلا ماورد في القرآن وينفون سنة النبي ﷺ، وظهور هذه الطائفة هي مما أخبر به النبي ﷺ، فقد ورد في مسند الإمام أحمد أنه ﷺ قال: (**كأني برجل شبعان متكئ على أريكته، يأتيه الأمر من ما أمرت أو نهيت فيقول بيني وبينكم كتاب الله، فما فيه من حلال أحللناه، وما فيه من حرام حرمناه**)[٢]، قال ﷺ: (**ألا وأني قد أوتيت القرآن ومثله معه**)[٣]، وهذه الطائفة رد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهم يتجددون في كل زمان، ولا تزال موجودة إلى زماننا.

الطائفة الثانية: الإمامية الإثني عشرية وهؤلاء لا يقيمون وزناً لسنة النبي ﷺ ويرون أن السنة التي وردت إلينا متواترها وآحادها إنما نقلها إلينا من اتصفوا بالردة والنفاق وهم الصحابة الكرام - رضي الله عنهم-، حتى إنهم يقولون: في إحدى كتبهم وأظنه للمفيد؛ يقول: إن آيات النفاق نزلت في المدينة؛ فقيل له: فعلى هذا يكون المهاجرين الذين أسلموا في بادئ الأمر ليسوا من المنافقين؛ قال: هي نزلت في المدينة لكن لا يمنع أن يكون النفاق قد وُجد قبل ذلك وخاصة في أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم -، فقيل له: إن النفاق إنما يتأتى في بيئة يكون الناس على عقيدة واحدة فتُظهر أنت خلاف ما تبطن خوفاً على نفسك، بينما العقيدة التي كانت منتشرة قبل هجرة النبي ﷺ كان الناس على الشرك بل إن الأجدر أن يظهر المؤمن الكفر ويبطن الإيمان؛ فقال: إنهم يعني أبا بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم -، إنهم إنما فعلوا ذلك لأنهم تفرسوا أن النبي ﷺ سينتصر على قومه، وستكون له الرئاسة، وسيأخذون الملك من بعده!

---

(١) سنن البيهقي الكبرى (١٠/١١٤).

(٢) مسند أحمد (٢٨/٤١٠).

(٣) المصدر السابق

تفسيرات ليس لها أساسٌ من شرع ولا عقل، وليس لها أساسٌ من نص، لا من كتاب الله، ولا من سنة رسوله، حتى قال: إن النبي ﷺحينما أخذ أبو بكر معه في الهجرة لم يأخذه محبة، وإنما أخذه حتى لا يدل المشركين على مكانه! وغيرها من التخبطات التي تجعل العبد يحمد الله ليلاً ونهاراً على أن جعله من أهل السنة والجماعة؛ فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة. فالإمامية لا يقيمون وزناً لسنة النبي ﷺ؛ لأن الذين رووها هم من الكفار والمنافقين ويعنون بذلك صحابة النبي ﷺ، ويرون أن السنة إنما جمعها علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه -، وأن النبي ﷺ قد أوعز إليه بجميع سنته ﷺ، ولو قلبتم كتاب الكافي، وكتب القمي، والشيرازي وغيرهم، ستجدون ما يندى له الجبين حتى إن الأحاديث التي يروونها عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ، لا توازي ما رووه عن الباقر، وما رووه عن جعفر الصادق، وهذه هي كتب السنة المعتمدة لديهم. ولذلك فإن هؤلاء لا يقبلون سنة النبي ﷺ، ولا يرفعون بها رأساً ولا وزناً بل لا يقبلون القرآن، ويقولون إنه محرف بنص كلام أئمتهم! وإن أتى من أتى من بعدهم ليخفف الكلام؛ ويقول: أنهم لا يقصدون بذلك أن القرآن محرف؛ بل إن نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية؛ قال: إن علماء الشيعة الذين يقولون إن القرآن غير محرف إنما يقولون ذلك تقيةً ولا يقولونه حقاً!

أيضاً ممن يردون سنة النبي ﷺ المتكلمون الذين لا يقبلون من السنة إلا المتواتر؛ ويقولون: إن الآحاد لا يفيد إلا الظن ولا يفيد العلم. تعلمون أن الخلاف في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

١- فمن العلماء من يقول: إن خبر الآحاد يفيد العلم مطلقاً؛ وهذا خطأ.

٢- ومنهم من قال: أنه لا يفيد العلم مطلقاً كقول المتكلمين؛ وهذا خطأ.

٣- ومنهم من قال: إنه يفيد العلم إذا حفته القرائن؛ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وأئمة الإسلام.

والصحيح أن خبر الواحد يستدل به في العقائد كما يستدل به في الأحكام، وأن النص إذا صحت نسبته إلى النبي ﷺ؛ فإننا لا ننظر إلى كونه متواتراً أو آحاداً حتى نثبت به أمراً من أمور

العقيدة. فالمعتزلة يقولون: إن أمور العقائد لا تثبت إلا بالمتواتر، ولا تثبت بأحاديث الآحاد إلا إذا وافقها العقل، وكل ذلك من الباطل الذي يرده القرآن وسنة النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ التوبة: ١٢٢، والطائفة تطلق على الواحد وأكثر؛ فإذا كان الله – عز وجل – أمر هؤلاء الطائفة وهم العدد القليل – الآحاد – أن يتفقهوا في الدين، ثم ينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم؛ فهذا دليلٌ على قبول خبر الآحاد. الصحابة – رضوان الله عليهم – يستقبلون بيت المقدس؛ فيسمعون من يقول: إن النبي ﷺ قد حوِل القبلة إلى مكة المكرمة؛ فيستديرون – رضي الله عنهم– في الصلاة. أبو بكر – رضي الله عنه – لم يورث الجده السدس حتى شهد أحد الصحابة؛ فورثها –رضي الله عنه – بشهادة الواحد. النبي ﷺ كان يرسل عمالاً لجمع الزكاة من الناس؛ فكانوا يدفعون بها إليه. النبي ﷺ كان يرسل الآحاد بخطاباته إلى الملوك والرؤساء؛ فيُقبل هذا الخبر حتى أتت هذه البدعة الشنيعة؛ فقالوا: إن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن ولا يقبل في مسائل الإعتقاد. والسبب في هذه البدعة الشنيعة التي أطلقوها هو التفريق بين العقائد والأحكام؛ فقالوا: العقائد لا يُبنى عليها عمل، بينما الأحكام يُبنى عليها عمل؛ فلذلك نحن نحتاج إلى أن نعمل بحديث الآحاد فيها. نقول: إنه ما من عملٍ، وما من حكمٍ، وما من عبادةٍ يتقرب بها العبد إلى الله – عز وجل –، إلا ولها صلة وثيقة بأمرٍ من أمور العقيدة ولو لم تكن صلتها إلا بالإيمان بالله – عز وجل – لكفى بذلك دليلا. فسنة النبي ﷺ يجب أن تُقبل، وكما قال بعض السلف: إذا أتاك النص من النبي ﷺ فعلى العين والرأس، يقدم قول النبي ﷺ على قولنا، ومن رد قول النبي ﷺ فيخشى عليه من عذاب الله.

الدرس الخامس

وقبل أن نبدأ في درسنا لهذا اليوم، فإني أقدم بمقدمة لعلها تكون جامعة نافعة لكم في فهم عقيدة أهل السنة والجماعة وفي فهم أقوال المتكلمين وخاصة أن كثيرا منكم رغبوا في إعادة ما

يتعلق بحلول الأعراض أو حلول الحوادث. أقول أولا إن للناس في أسماء الله وصفاته ثلاث مذاهب:

الأول: مذهب نفاة الأسماء والصفات وهؤلاء الجهمية والفلاسفة: كالفارابي وابن سينا وابن سبعين وغيرهم؛ فإنهم ينفون أسماء الله عز وجل وصفاته.

الثاني: مذهب المعتزلة الذين يثبتون الأسماء دون الصفات ولهم في إثبات الأسماء مذهبين:

أ- الذين يقولون إن أسماء الله التي نثبتها هي أعلام محضة مترادفة؛ فنقول العليم هو القدير هو السميع فهي مترادفة، مترادفة حتى في المعنى لكن ليس من معانيها إثبات الصفة لله. تعلمون أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الاسم يتضمن الصفة.

ب- الذين يقولون إنّ أسماء الله مختلفة وليست مترادفة فالعليم غير القدير؛ لكننا نقول كالتالي: أن الله عز وجل عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر؛ فهذا مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات.

الثالث: مذهب الأشاعرة والماتريدية والكلابية ومن نحا نحوهم، وهو إثبات الأسماء وبعض الصفات. فالأشاعرة المتقدمون، والكلابية كانوا يثبتون الأسماء والصفات إلا الصفات الاختيارية التي يفعلها الله عز وجل عن مشيئة وإرادة؛ فهذه ينفونها عن الله عز وجل بسبب قاعدة حلول الحوادث، والأشاعرة المتأخرون والماتريدية يثبتون الأسماء، ويثبتون فقط سبع صفات لله عز وجل، ويقولون هذه الصفات السبع هي التي دل عليها العقل وهي: العلم والحياة والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، ويضيف الماتريدية صفة ثامنة وهي: صفة التكوين.هذه هي مذاهب الناس فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

المذهب الأخير هو مذهب أهل السنة والجماعة: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل نؤمن بأن الله عز وجل ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ الشورى: ١١

قاعدة حلول الأعراض التي أصلها الجهم بن صفوان وقعّدها ثم بعد ذلك جعلها بمثابة القرآن الذي لا يغير؛ فهي قاعدة أو استدلال أتى به لإثبات وجود الله عز وجل وهو استدلال غير صحيح.

يقول: إن إثبات صدق الرسول ﷺ متوقف على معرفة المرسل والمرسل من؟ هو الله، ومعرفة المرسل متوقف على معرفة قدمه، ومعرفة قدمه متوقف على معرفة حدوث العالم؛ إن هذا العالم الذي نحن فيه ليس قديم إنما لم يكن ثم كان، ومعرفة حدوث العالم متوقف على الاستدلال بحلول الأعراض والذي ذكرته لكم في الدرس الماضي في قصة الجهم بن صفوان مع الملاحدة الذين أنكروا أسماء الله وصفاته؛ فأصبحوا يقولون: نحن لا نثبت الصفات لأننا إذا أثبتنا الصفات لله عز وجل فإنّ في هذا حلول للأعراض والحوادث، فإذا كانت هذه الحوادث والأعراض تحل بالله فمعناها أن الله مخلوق؛ فلهذا نحن ننفي الأسماء والصفات حتى لا يطرأ هذا الطارئ، ولهذا قال المعتزلة: أننا لا نثبت الصفات لله عز وجل حتى لا نثبت حلول الأعراض والحوادث.

الأعراض عندهم ليست هي فقط مجرد الأمراض والآفات، هم يقصدون بالأعراض: الصفات؛ فيقولون حتى لا تحل به الأعراض يعني: الصفات، والحوادث هي: الأفعال التي يفعلها الله عن مشيئة وإرادة.

أتى الأشاعرة فخالفوهم في الأعراض وقالوا: نحن لا نقول إن الصفات من الأعراض ووافقوهم في امتناع حلول الحوادث بالله عز وجل.

هذا ملخص ما يتعلق بمذاهب الناس بالأسماء والصفات، وما يتعلق أيضاً بهذه القاعدة وهي قاعدة حلول الأعراض والحوادث.

قال المؤلف رحمه الله تعالى ومن السنة قول النبي ﷺ (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا) وقوله (يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة) وقوله ﷺ (يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة).

هذه الآن مجموعة من الصفات التي ثبتت لله سبحانه وتعالى في سنة النبي ﷺ، وتقدم معنا في الدرس الماضي أن منهج أهل السنة والجماعة أنهم يقدمون سنة النبي ﷺ وأنها وحي من الله عز وجل سواء في العقائد أو سواء في الأحكام؛ فما دام أن هذا الحديث ثبت عن النبي ﷺ فإنه يكون دليلا يحتج به؛ وكما قال الله: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾الأحزاب: ٣٦

قال رحمه الله: ومن ذلك قول النبي ﷺ **(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا)**[١].

النزول من الصفات التي ثبتت في السنة النبوية دون القرآن، والذين نفوا نزول الله سبحانه وتعالى قالوا حتى لا يكون فيه مشابهة للمخلوقين، ثم قاموا بتأويل النزول فيقول الأشاعرة: إن نزول الله معناه نزول الرحمة، ونقول لهم رداً: إنّ هذا التأويل لا يقبل؛ لأن رحمة الله ليست مختصة بوقت دون وقت فإنّ رحمة الله عز وجل تسري على العباد في كل حين. أيضا إذا أردنا أن ننفي الأسماء والصفات لأنها قد تشابه المخلوقين فمعناها حتى الصفات التي يثبتها الأشاعرة نقول لهم أنها قد تشابه المخلوقين، لكننا إذا أتينا بقاعدة ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ الشورى: ١١ عند ذلك يزول اللبس بإذن الله سبحانه وتعالى؛ فالنزول ثابت لله عز وجل وقد اهتم العلماء بإثبات هذه الصفة ودونوا فيها المصنفات.

قال رحمه الله: وقوله تعالى **(يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة)**[٢] في هذا إثبات صفة العجب لله سبحانه وتعالى والذين نفوا هذه الصفة قالوا: إن العجب بالنسبة للبشر أنت تتعجب لأنك كنت لا تتوقع أن يحدث هذا الأمر فحدث ففيه نقص للعلم. نقول هذا ما يتعلق بالمخلوق، أما ما يتعلق بالخالق سبحانه وتعالى فالأمر مختلف لأن الله عز وجل ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ وقد دل على هذه الصفة أيضا كتاب الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ** ﴾ الصافات: ١٢،.

---

(١) صحيح البخاري (٥٣٢/١٨)

(٢) مسند الشهاب (٣٣٦/١).

ثم قال، وقوله: **(يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة)**[١] هذا أيضا فيه إثبات صفة الضحك لله سبحانه وتعالى قال النبي ﷺ: **(ضحك ربكم من قنوط عباده وقرب غِيَره)**[٢] يعني قرب تحول الأمور والأوضاع.

وعلى قاعدة أهل السنة والجماعة نؤمن بها من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل نؤمن بأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

قال رحمه الله تعالى: **هذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.**

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة فليس فقط رد الأسماء والصفات بنفيها؛ بل إن تأويلها التأويل الذي لا يسنده دليل هو من رد هذه الأسماء والصفات فما دام أنّ هذه الأحاديث ثبتت عن النبي ﷺ وصح السند فسواء كان متواتراً أو آحاداً أو غير ذلك فإنه يجب أن نؤمن بهذا الحديث مادام قد صح السند. وهنا أنبه على ملاحظة أن بعض المتكلمين يفرقون بين الأحاديث المتواترة والآحاد فيقولون: لا نقبل في العقائد إلا المتواتر وهو الذي رواه جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب، أما الحديث الآحاد فيقولون: هو ظني فلا يقبل في الاعتقاد ثم إذا أردت أن تطبق هذه القاعدة على أقوالهم لوجدت أنهم حتى الأحاديث المتواترة يردونها فهم يردون أحاديث الشفاعة وهي من المتواتر عن النبي ﷺ وغير ذلك من الأحاديث التي ردوها.فهم يردون كل آية أو حديث ورد وهو لا يتناسب مع فكرهم ومنهجهم الذي ساروا عليه في نفي الأسماء والصفات لله سبحانه وتعالى.

قال: ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات أي: علامات المحدثين أي: المخلوقين، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير.

---

(١) صحيح البخاري (٧/٢٦٠)، مسلم (٣/١٥٠٤)

(٢) سنن أبن ماجة (١/٦٤).

قال رحمه الله تعالى: **وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.**

لماذا؟ لأنك لا تستطيع أن تصف وصف كيفيه في الدنيا إلا إذا رأيته أو رأيت جنسه أو رأيت مثله أو وُصف لك وصف كيفيه؛ وهنا قاعدة سبق أن ذكرناها في مقدمة هذه الرسالة حينما قال رحمه الله: لا تمثله العقول بالتفكير ولا القلوب بالتصوير فمهما خطر في بالك فإن الله سبحانه وتعالى بخلافه، لماذا؟ لأن الشيطان وهذه من مداخله على ابن آدم يأتي للإنسان فيبدأ يجمع هذه الصفات ويركبها في ذهنه ويتخيل الله سبحانه وتعالى؛ فقال وكل ما تخيل في الذهن وخطر بالبال فإن الله سبحانه وتعالى بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ طه: ٥، **وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾** الملك: ١٦، **وقول النبي ﷺ: (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك)**[1]

هذا فيه إثبات صفة الاستواء على العرش، وصفة الاستواء على العرش دل عليها القرآن في سبعة مواضع ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾الحديد: ٤ ثبتت في سبعة مواضع من القرآن، والاستواء في القرآن إما أن لا يُعدى وإما أن يُعدى بحرف. عدم التعدية مثل ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ القصص: ١٤، لم يعدى بحرف فهذا معناه اكتمل، وأما إذا عُدي (بعلى) كما قال تعالى ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ الزخرف: ١٣، واذا عدي (بإلى) ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ البقرة: ٢٩، فإذا عدي بإلى أو بعلى فيكون معنى الاستواء في القرآن: علا وصعد وارتفع.

يقول ابن عربي أحد أئمة اللغة يقول: كنا في البادية فنظر إلينا أحد الأعراب من بيته فقال لنا استووا لي أي: اصعدوا إلي وارتفعوا؛ فمعنى استوى: صعد وعلا وارتفع.

الاستواء هو صفة ذاتية فعلية، صفة ذاتية: أن الله عز وجل لم يزل مستويا، وصفة فعلية أنه لم يستوِ ثم استوى سبحانه وتعالى، وهذه كلها دلت عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الاستواء، ما معناه؟ كما ذكرنا لكم هو: العلو والصعود والإرتفاع فهذا هو معناه في حق الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٦/٢٥٦).

ثم إن كثيرا من أهل البدع يذكرون بعض الأمور التي يلفقونها على أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة كما قال النبي ﷺ: (**بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء**)[1] وكما قال النبي ﷺ حينما عرض رسالته على ورقة ابن نوفل **(ليتني كنت فيها جذعا إذ يخرجك قومك قال: أو مخرجيّ هم؟ قال نعم ما أتى رجل بمثل ما جئت به إلا أخرجه قومه)**[2].

قال بعض العلماء: فأهل السنة والاعتقاد وأتباع النبي ﷺ يمتحنون ويختبرون ويبتلون، ومن و تجد في سنة النبيﷺ وفي سيرته تجد أنه ابتلي بأنواع من البلايا: ابتلي في عرضه ابتلي بالكلام قيل له ساحر وكاهن ومجنون وأنه يكذب.

ابتلي ﷺ أيضا بالأذى الحسي: وُضع سلا الجزور على ظهره، ضُرب النبي ﷺ، أدمي عقبه، دخلت حلقتا المغفر في وجنتيه ﷺ، كسرت رباعيته؛ فكل أنواع البلاء حصلت له ﷺ.

فمن أنواع البلاء الذي لحق أهل السنة والجماعة أتباع النبي ﷺ: ما يتعلق بالسب والقذف والشتم؛ فيقال عن أهل السنة والجماعة مثلاً: المجسمة لأنهم يثبتون الأسماء والصفات، ويقال عنهم: الحَشَوية، ويقال عنهم أسماء مختلفة حتى ذكر الشاطبي والشاطبي غفر الله له ورحمه هو من الأشاعرة في الجملة وهناك كتاب اسمه الاعلام بمخالفات الموافقات والإعتصام بين فيه بعض المخالفات التي خالف فيها أهل السنة والجماعة ووافق فيها الأشاعرة. نقل رواية عن أبي بكر ابن العربي وهو أشعري جلد قال: في مدينة السلام في بغداد أتى جماعة من أهل السنة ويقصد بهم الأشاعرة أتوا إلى إلى أبي القاسم عبد الكريم القشيري فاجتمعوا عليه في حلقة الذكر؛ يقول: فلما بلغ قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ** ﴾الحديد: ٤ قام جماعة من الحنابلة -أهل السنة- وأخذوا يدورون في المسجد ويقولون: قاعد قاعد قاعد؛ يقول: فثار عليهم أهل السنة -يعني الأشاعرة - حتى أوقفوهم عن هذا الأمر، وهذه كما يقول شيخ الإسلام من التلفيقات والأكاذيب التي يُكذب بها على أهل السنة والجماعة بل

(١) صحيح مسلم (١/٩٠).

(٢) صحيح البخاري (١/٣).

إنهم نقلوا عن أبي يعلى الحنبلي رحمه الله تعالى أنه يقول عن صفات الله وأسمائه،: ألزموني ما شئتم فإنني ألتزمه إلا اللحية والعورة. فيقول شيخ الإسلام: وحينما بحثنا عن السند الذي نقل فيه الكلام عن أبي يعلى رحمه الله وجدنا أنه سند كذب و مجهول ونحو ذلك. ولهذا أنا أقول وخاصة في هذا الزمان: يكثر الكذب على العلماء وعلى الصالحين فيجب أن نتحرى وأن نتأكد قبل الرد عليهم أو قبل النقاش معهم، أن نتحرى من صحة المقولة حتى نتأكد بعد ذلك أن ما قيل عنهم هو حق أم باطل. فهذه فيها كما ذكرت لكم إثبات صفة الاستواء لله.

(وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مالك ومسلم وغيرهما من الأئمة. وقال النبي ﷺ للحصين رضي الله عنه: (كم إلهاً تعبد؟ قال سبعاً: ستة في الأرض وواحداً في السماء، قال: من لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء، قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين فأسلم وعلمه النبي ﷺ أن يقول: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي). وفيما نقل من علامات النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء، وروى أبو داوود في سننه أن النبي ﷺقال: "إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذاْ وذكر الخبر إلى قوله: "وفوق ذلك العرش والله سبحانه وتعالى فوق ذلك".فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله لم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله .

قول المصنف رحمه الله من قوله تعالى ﴿ **ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ** ﴾ الملك: ١٦ إلى هذا الموضع هذا كله فيه إثبات صفة العلو لله. العلو لله عز وجل على ثلاثة أقسام: علو الذات وعلو القهر وعلو القدر.

والمتأولة الذين ينفون الصفان عن الله سبحانه وتعالى يعيدون العلو إلى علو القهر والقدر، وينفون علو الذات عن الله سبحانه وتعالى.

المتكلمون لا يثبتون العلو لله ويقولون: الله عز وجل في كل مكان، وبعضهم يقول: لا داخل العالم ولا خارجه.

ولكن منهج أهل السنة والجماعة واضح وبيّن في إثبات صفة العلو لله عز وجل؛ بل إن بعض العلماء كفّر من أنكر صفة العلو؛ لأن صفة العلو ورد إثباتها لله عز وجل في ألف دليل في القرآن وفي سنة النبي ﷺ.

فأدله الصعود إلى الله سبحانه وتعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾فاطر: ١٠، كلها دالة على إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى.

قول الله عز وجل ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ معنى من في السماء يعني: على السماء، ودليل ذلك قول الله عز وجل ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ طه: ٧١، بمعنى: على جذوع النخل؛ فالحروف تتناوب فتأتي (في) بمعنى (على) كما في هذا النص.

قول النبي ﷺ: (ربنا الله الذي في السماء)[١] هذا نص واضح على علو الله عز وجل بذاته.

وقول النبي ﷺ لهذه الفتاة أو الجارية: **(أين الله؟ قالت: في السماء، قال النبي ﷺ: اعتقها فإنها مؤمنة)**[٢]. أيضا قول النبي ﷺ لحصين بن عبد الرحمن حينما قال: **(أعبد سبعاً؛ ستةً في الأرض، وواحداً في السماء، قال: من لرغبك ورهبك؟ قال: الذي في السماء، قال: اعبد الذي في السماء، واترك الذي في الأرض)**[٣]. أيضا استدل بحديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (هل تدرون كم بين السماء والأرض قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله عز وجل فوق ذلك لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم)[٤] فهذا دليل على علو الله سبحانه وتعالى على خلقه.

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٦/٢٥٦).

(٢) صحيح مسلم (٢/٧٠).

(٣) سنن الترمذي (١١/٣٨٧).

(٤) المصدر السابق.

والعلماء ألفوا في هذا مصنفات: ابن قدامة له كتاب العلو، والإمام الذهبي رحمه الله له كتاب العلو، والشيخ الألباني رحمه الله له مختصر كتاب العلو من كتاب الإمام الذهبي رحمه الله، وكلها كما ذكرت لكم تدل دلالة واضحة على علو الله عز وجل على خلقه. ويذكرون قصة الإمام الجويني رحمه الله، الجويني كان من أئمة الأشاعرة ثم المتكلمين وعاد في آخر حياته؛ فكان يقف على المنبر ويقول: إن الله كان ولا مكان وهو الآن حيث كان؛ فقام الهمداني وقال: يا إمام، دعنا من هذا. أخبرني عن هذه الضرورة التي نجدها في أنفسنا فإن أحدا إذا أراد الله عز وجل رفع ببصره إلى السماء أخبرنا عن هذا الأمر، فنزل الجويني رحمه الله من منبره وهو يضرب بيده على رأسه ويقول: حيرني الهمداني حيرني الهمداني ثم عاد في آخر حياته إلى معتقد أهل السنة والجماعة. وهذا يدلك على أنّ العقيدة الصحيحة التي بينها الله في كتابه وبينها النبي ﷺ توافق العقل وتوافق الفطرة، ولهذا شيخ الإسلام حينما يتحدث مع العقلانيين الذين يقولون: نحن نقدم العقل على النقل قال لهم: إن النقل الصحيح إذا ثبت النقل في القران أو في السنة، إن النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح إذا ثبت أن هذا ما ورد في الكتاب وفي السنة فإنه لا يخالف العقول الصحيحة وهذا ما أثبته في كتابه رحمه الله درء تعارض العقل والنقل. يقولون أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أتى إليه أحد المبتدعة وكان يناقشه في مسألة العلو (ينفي العلو) فشيخ الإسلام تشاغل عنه ببعض الأمور التي بين يديه فاشتغل عنه مرة فالرجل في نهاية الأمر غضب فلحظه شيخ الإسلام وهو يرفع بصره إلى السماء ويقول: يا الله! كأنه غضب، فالتفت إليه شيخ الإسلام وقال: الله في السماء، الذي جعلك ترفع بصرك إليه الله سبحانه وتعالى في السماء؛ فعاد إلى عقيدة الحق. بل إن في أشعار أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ ما يؤكد على أنهم في فطرتهم كانوا يعلمون أن الله في السماء، أميّة كان يقول:

يا عبل أين من المنية مهربي إن كان ربي في السماء قضاها

وكان يقول:

مجدوا الله هو للأهل مجد ربنا في السماء أمسى كبيرا

وأيضا من الشعر الجاهلي قول أحدهم:

فإن تكن الأيام أبلين أعظمي وشيبن رأسي والمشيب مع العمر
فإن لنا رباً علا فوق عرشه عليما بما نأتي من الخير والشر

فكل هذه تدل على أن الله سبحانه وتعالى متصفا بهذه الصفة وهي صفة العلو وهنا أنبه على قضية: حينما تقرؤون في بعض كتب المتكلمين تجدون أنهم يتحدثون عن الجهة ونفي الجهة فهل الجهة تُنفى أو تُثبت لله عز وجل؟ أهل السنة والجماعة طريقتهم كالتالي يقولون: لفظ الجهة لم يرد لا في القران ولا في السنة لكننا نستفصل عن المعنى، إن أردتم بنفي الجهة أن الله ليس في جهة السفل فهذا صحيح، وإن أردتم بنفي الجهة أن الله سبحانه وتعالى حال في كل مكان وأنه لا داخل العالم ولا خارجه فهذا معنى باطل، وإن أردتم بنفي الجهة نفي علو الله سبحانه وتعالى فهذا أيضا من المعاني الباطلة، فمثل هذه المعاني كما ذكرنا سابقا أنها لا تثبت ولا تنفى ولكن يستفصل في المعنى.

قال رحمه الله تعالى: **وسُئل الإمام مالك ابن أنس رحمه الله فقيل: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾** طه: ٥ **كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج.**

أراد رحمه الله تعالى أن يختم بهذا القول الذي اشتهر عن الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله، أراد أن يستدل بهذا النقل عن الإمام مالك ليبين منهج أهل السنة والجماعة بل هنا أنبه على قضية؛ لو تأملتم في كتب وفي أقوال أئمة المذاهب الأربعة: الإمام مالك، الإمام أبو حنيفة، الإمام الشافعي، الإمام أحمد لوجدتم أنّ أصول الاعتقاد عندهم واحدة، وليس صحيح أن عقيدة أهل السنة والجماعة انفرد بها مثلا الحنابلة وأن المالكية والشافعية ليسوا على هذه العقيدة، ولهذا ألف بعض طلبة العلم كتاب أصول الاعتقاد عند الأئمة الأربعة جمع فيها أقوال الأئمة الأربعة في أصول الاعتقاد في الأسماء والصفات والغيبيات ونحوها وأثبت أنهم على عقيدة واحدة والسبب أن مرجعهم ومصدرهم واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

هنا قال: سئل الإمام مالك فقيل: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، العرش لم نبين معناه هو: كرسي الملك في اللغة، وهو عرش الرحمن سبحانه وتعالى وهو سقف العالم وأعلاه ويحمل هذا العرش ملائكة الرحمن.

قيل له كيف استوى؟ السؤال هنا عن الكيفية ليس السؤال عن المعنى. أهل السنة والجماعة يثبتون الاسم ويثبتون الصفة ويثبتون معاني الأسماء والصفات لأن الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بما نعقل وبما نفهم ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ص: ٢٩، نحن نعقل المعنى لكن الكيفية هي التي لا نعقلها ونكلها إلى الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا حملنا قول بعض السلف الذين فوضوا وقلنا: إن المراد بالتفويض هنا تفويض الكيف لا تفويض المعنى. نحن نثبت السمع لله ونثبت معنى السمع لكن كيف سمع الله عز وجل؟ هذا الذي لا نعلمه، وهذه قاعدة عظيمة قعّدها رحمه الله؛ فقال: الاستواء غير مجهول (نحن نعرف الاستواء) والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بالرجل فأخرج. هنا أيضا الحديث عن التعامل مع أهل البدع كيف يكون الإمام مالك هنا رحمه الله أبعده وطرده، أيضا عمر بن الخطاب رضي الله عنه له تعامله في قضية صبيغ بن عسل وحينما ضربه بالجريد وأدخل عليه فضربه بالجريد حتى أغمي عليه ثم أفاق فضربه ثانية حتى أغمي عليه فأفاق فضربه ثالثة حتى أغمي عليه فلما أفاق قال: يا أمير المؤمنين إن كنت قصدت تأديبي فاعلم أنه لم يبق في رأسي شيء وإن كنت إنما تريد ضربي فهذا أمر آخر؛ فأطلقه أمير المؤمنين عمر ونهى الناس عن كلامه وأمرهم بهجره.

لكن ما يتعلق بالتعامل مع البدع والتعامل مع أهل البدع ليست دائمة على أصل واحد، وإنما تجدون خلاف كثير بين العلماء في تعاملهم مع أهل البدع. شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كيف كان يتعامل هي تختلف بحسب المصلحة التي يراها العالم.

فصل (كلام الله)

قال رحمه الله تعالى: **ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه.**

صفة الكلام من أعظم الصفات التي حصل فيها الخلاف وحصلت فيها المعركة بين أهل السنة والجماعة وبين المتكلمين بل إنّ علم الكلام يقال ان سبب تسميته بهذا الاسم لأنه كان من أوائل الصفات التي خاض فيها المتكلمون صفة الكلام لله سبحانه وتعالى. الكلام من الصفات التي دل عليها القرآن والسنة فكتاب الله عز وجل دل على أن الله سبحانه وتعالى متكلم، كما قال الله عز وجل: ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا** ﴾ النساء: ١٦٤، وسنة النبي ﷺ دلت على هذا الأمر؛ بل إن العقل قد دل عليه فمن يتحدث هو أكمل ممن لا يتحدث، ولهذا عاب الله عز وجل أهل الجاهلية في عبادتهم للأصنام أنها كما قال إبراهيم: ﴿ **يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا** ﴾ مريم: ٤٢، ﴿ **أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ** ﴾ طه: ٨٩، يعني حينما تتحدث مع هذا الصنم لا يعود إليك لا بسمع ولا بكلام، وقال الله عز وجل ﴿ **فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ** ﴾ الأنبياء: ٦٣، فصفة الكلام من الصفات الثابتة لله عز وجل في القرآن وفي سنة النبي ﷺ. وقد خالف المعتزلة أهل السنة في هذا الأمر وحدثت معركة كبيرة بينهم وبين أهل السنة والجماعة امتحن فيها الإمام أحمد رحمه الله وخاصة فيما يتعلق بالقرآن، هل القرآن كلام الله وصفة من صفات الله، أم أنه مخلوق؟ حدث الخلاف الكبير بين أهل السنة وبين المعتزلة فالمعتزلة لا يثبتون الكلام لله عز وجل وإنما يقولون إن الله سبحانه وتعالى خلق الكلام وهو مخلوق منفصل عن الله ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا** ﴾ النساء: ١٦٤ الله عز وجل خلق الكلام في الشجرة فسمعها موسى عليه السلام من الشجرة. الأشاعرة يثبتون الكلام لكنهم يثبتون كلاما بغير صوت ولا حرف ويقولون هو كلام نفسي قائم بالذات. يقولون والدليل على هذا قول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل الكلام على اللسان دليلا

فقال لهم شيخ الإسلام رحمه الله: انظروا أولا أول البيت ما البيت الذي قبل هذا؟
البيت الذي قبله:

لا يعجبنك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا

يعني الذي يتكلم ولا يطبق كلامه ولا يفعل. يقول:

لا يعجبنك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل الكلام على اللسان دليلا

الكلام الحق هو ما يتوافق فيه القلب مع اللسان، وهذا دليل عليهم ليس لهم!
الأمر الثاني: لو ثبت أن هذا البيت للأخطل؛ فالأخطل كان نصرانيا ونحن لا نرده لأنه نصراني، الشعر الجاهلي يقبل؛ لكن نرده لأن النصارى عندهم خلط في باب الكلام فهم يقولون ان الله ثالث ثلاثة ونحو ذلك، فردها أهل السنة والجماعة وأثبتوا أن الكلام صفة لله سبحانه وتعالى وأن هذه الصفة قديمة النوع حادثة الآحاد. معنى ذلك: أن الله عز وجل لم يزل متكلما في الأزل قديم النوع، لكنه حادث الآحاد بمعنى: أن الله عز وجل يتكلم إذا شاء متى شاء سبحانه وتعالى.هذا هو حاصل الخلاف في مسألة صفة الكلام.

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم

هذا معنى أنه قديم النوع.

يسمعه منه من شاء من خلقه. سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن لهم من ملائكته ورسله وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ النساء: ١٦٤.

هذه بعض الأدلة التي الآن بيانها مؤكداً إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى. قال: سمعها موسى عليه السلام واستدل على ذلك بقول الله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ النساء: ١٦٤. يقال أن أحد المبتدعة أتى إلى أحد أئمة اللغة وقال له: اقرأها وكلم اللهَ ليكون الذي تكلم موسى عليه السلام؛ فأراد أن يغير القرآن ليوافق مذهبه؛ فقال له هذا الإمام هب

أني قرأتها هكذا؛ فماذا تقول في قول الله عز وجل ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ الأعراف: ١٤٣، فاسقط في يده ولم يستطع جوابا، فهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى تكلم بهذا الكلام وأن الله عز وجل يُسمع من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام وسمعه محمد ﷺ من فوق سبع سموات. قال وأنه سبحانه وتعالى يكلم المؤمنين في الآخرة حينما يقول الله عز وجل: يا عبادي أيرضيكم كذا وكذا؟ فيقولون: لبيك ربنا لبيك ربنا وسعديك، وهذا فيه إثبات صفة الكلام لله. كذلك قوله: ويأذن لهم فيزورونه فالله عز وجل يجعل لأهل الجنة من نعيمهم إذا دخلوا ونزلوا بفضل الله سبحانه وتعالى يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم سبحانه وتعالى وما أعظم هذه الزيارة التي يمن الله عز وجل بها على أهل الجنة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

قال سبحانه ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ الأعراف: ١٤٤

هذا أيضا دليل على أنه ليس كلاما نفسيا، فكيف يسمع موسى عليه السلام هذا الاصطفاء؟ الله عز وجل اصطفاه بأمرين:

١ - اصطفاه بأن جعله رسولا،

٢ - واصطفاه بكلامه،

ثم نقول للمعتزلة الذين يقولون: هو مخلوق منفصل عن الله نقول: هل يجوز لمخلوق أن يقول ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ ؟ هل أحد يصطفي غير الله سبحانه وتعالى أحداً بالرسالة والنبوة؟!

وقال سبحانه ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾البقرة: ٢٥٣، وقال سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ الشورى: ٥١.

هذا بيان لأنواع الوحي:

الأول قوله: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾.

الثاني: ﴿ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾.

الثالث: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ صدق الله

وقال سبحانه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ طه: ١١ – ١٢.

وهذا فيه رد على المعتزلة ورد على الأشاعرة.

المعتزلة ينفون صفة الكلام عن الله ويقولون: معنى هذا أنه مخلوق منفصل عن الله عز وجل؛ فنقول هل يجوز لمخلوق أن يقول لموسى عليه السلام ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ ؟! هذا رد على المعتزلة.

ونرد على الأشاعرة بهذه الآية ونقول: أن الله عز وجل قال: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ ﴾ ؛ فهل الكلام النفسي يكون معه نداء؟ الكلام النفسي خواطر بقلب الإنسان، فهل يوصف الكلام النفسي الذي تكتنفه الصدور بأن فيه نداء؟ لا يوصف أنه نداء إلا إذا كان صوتاً وحرفاً.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ طه: ١٤، **غير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.وهذا فيه رد على المعتزلة.**

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء. روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه رُوي مرفوعا، وروي موقوفا. مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وموقوفا على ابن مسعود. والعلماء صححوا رواية الموقوف، ورواية المرفوع صحيحة؛ لكن رواية الموقوف أصح منها والشاهد قوله: سمع صوته، والكلام النفسي لا يُسمع له صوت فدل على أن كلام الله عز وجل صفة ذاتية تقوم بذاته سبحانه وتعالى وصفة فعلية كذلك.

وروى عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺأنه قال: (يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب أنا الملك أن الديان) رواه الأئمة واستشهد به البخاري.

قول النبي ﷺ: **(يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما) عراة: واضح، حفاة: غير منتعلين، غرلا: غير مختونين، بهما: أي ليس معهم شيء. (فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)** [1]. وهذا فيه أن كلام الله سبحانه وتعالى بصوت وحرف ورد على من يقول إن كلام الله عز وجل كلام نفسي. قال: رواه الأئمة واستشهد به البخاري رحمه الله، وبعض العلماء ضعف هذا الحديث لكن ابن حجر رحمه الله وإن كان من المفوضة قال: لا يجوز لنا أن نرد هذا الحديث وقد ثبت عن النبي ﷺ، فنحن نثبته للنبي ﷺ ثم بعد ذلك إما إلى التأويل أو إلى التفويض وهذا منه رحمه الله تعالى إنصاف وعدل، وإن كنا لا نوافقه في التفويض؛ بل نثبتها كما أثبتها الله عز وجل لنفسه.

وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه يا موسى فأجاب سريعا استئناسا بالصوت فقال: لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى قال: كذلك أنت يا إلهي أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسى.

هذا الأثر الذي أورده ابن قدامة رحمه الله ضعيف لأنه من رواية وهب بن منبه وهو معروف بالرواية عن الإسرائيليات. وقد قال ابن المبارك: إن في صحيح السنة ما يغني عن ضعيفها، والآيات والأحاديث التي تدل عن إثبات صفة الكلام لله عز وجل وأنه قديم النوع حادث الآحاد واضحة وبينة.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٨/٤٠٢).

قال رحمه الله تعالى: ومن كلام الله سبحانه وتعالى القرآن العظيم.

إثبات أن القرآن كلام الله عز وجل هو أخص من إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، وإثبات أن القرآن كلام الله هو الذي حدث فيه الخلاف الكبير بين الإمام أحمد رحمه الله في الفتنة التي قالوا فيها أن الله عز وجل أيد هذا الدين بالصديقين: بأبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم الفتنة وهي ما يتعلق بالأعراب الذين منعوا الزكاة، وأيضا بأحمد بن حنبل رحمه الله يوم المحنة تلك المحنة العظيمة التي ينبغي لطلبة العلم لأهل المعتقد الصحيح أن يحرصوا على قراءتها والتمعن فيها والأخذ بما فيها فإنّ فيها من الصبر والاحتساب والثبات على الحق، وما أحوجنا إلى الثبات على الحق خاصة في هذا الزمان ما يعين طالب العلم بإذن الله سبحانه وتعالى، وأخبار الماضين هي تجارب للاحقين؛ وكما قال الله عز وجل ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ** ﴾ يوسف: ١١١.

القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى، وهنا نقول: إن القرآن كلام الله وهو آيات وحروف وسور كلها كلام لله سبحانه وتعالى، وهو على مرتبتين:

الأولى مرتبة الكتابة بمعنى: أن الله عز وجل حين خلق اللوح المحفوظ أودع فيه القرآن العظيم، ثم بعد ذلك نزل هذا القرآن كما يقول ابن عباس رضي الله عنه إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل منجما إلى محمد ﷺ. فحينما نزل قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾ المجادلة: ١، كان وقت السماع وليس هذا الأمر قبل ذلك فإذا هذه مرتبة الكتابة.

الثانية مرتبة تكلم الله عز وجل بهذا القرآن: تكلم الله بها وسمعها جبريل عليه السلام سمعها بالصوت والحرف وجبريل عليه السلام بلّغها إلى محمد ﷺ.

وكما ذكرنا أن المخالفين لأهل السنة في هذا:

١- الأشاعرة الذين قالوا إن القرآن هو معنى قائم بالنفس.

٢- والمعتزلة الذين قالوا إن القرآن مخلوق منفصل عن الله سبحانه وتعالى.

وأيضا وهذه أنبه عليها في كتب علوم القرآن تجد أن السيوطي رحمه الله أتى بقول ثالث فقال: إن جبريل عليه السلام أخذ القرآن مباشرة من اللوح المحفوظ وأنزله إلى النبي ﷺ لينفي بذلك تكلم الله عز وجل بالقرآن إلى جبريل ﷺ.

ومن كلام الله سبحانه وتعالى القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

هذه بيان لهذا القرآن وأنه كلام الله سبحانه وتعالى وتنزيل من الله عز وجل ونزل به الروح الأمين أي: جبريل عليه السلام، على قلب سيد المرسلين محمد ﷺ، بلسان عربي مبين. قال منه بدأ: بدأ من الله لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي تكلم به. قال: وإليه يعود وهذا ما دلت عليه سنة النبي ﷺ فقد ورد أنه في آخر الزمان يرتفع القرآن من صدور الرجال ومن الأرض ومن المصاحف حتى لا يبقى منه شيء كما قال ﷺ: **(يُدرس الإسلام كما يُدرس وشي الثوب)**[١] يدرس يعني: ينقص، الوشي هي: الزخارف التي تبقى في الثياب فحينما يكون جديدا تكون ألوانها زاهية ثم بعد ذلك تضعف شيئا وتدرس حتى لا يبقى منها شيء. قال: **(كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى شيء)**[٢] ثم قال: **(حتى لا يُدرى لا صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا نسك وليأتين على القرآن ليلة حتى لا يبقى منه في الأرض آية)**[٣] ثم قال ﷺ بعد ذلك: **(يبقى الرجال والذين يقولون وجدنا الناس يقولون لا إله إلا الله فنقولها)**[٤] لم يعودوا يعرفوا شيئا من تعاليم الإسلام، فقال صلة لحذيفة راوي الحديث: وما تغنيهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون لا صلاة ولا صدقة ولا صيام ولا نسك؟ فالتفت عنه حذيفة فكررها ثانية وثالثة فقال حذيفة: تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار، هذا دليل على قوله منه بدأ وإليه يعود.

---

(١) سنن ابن ماجة (٢/١٣٤٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

قال: **وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان.**

قوله أجزاء وأبعاض هذا رد على من قال بالكلام النفسي. القرآن مجزأ إلى سور وإلى آيات ومجزأ إلى أجزاء وإلى أحزاب وكلها كلام الله سبحانه وتعالى؛ لأن الأشاعرة يقولون: كلام الله واحد لا يتبعض ولا يتجزأ، كلام الله يقولون: هو نفسه القرآن إن تحدث بالعربية فهو القرآن أو بالعبرانية فهو التوراة أو بالسريانية فهو الإنجيل. فكلام الله سبحانه وتعالى واحد وهنا يقول لهم بعض العلماء: ماذا تقولون في قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا** ﴾ النساء: ١٦٤ هل موسى سمع كل كلام الله؟ إن قالوا: لا، وهذا هو الصواب قلنا: لقد خُصمتم وهذا معناه أن القرآن يتجزأ وأن موسى سمع بعض كلام الله سبحانه وتعالى، وإن قالوا لا، سمع كلام الله كله؛ نقول: ينقضها قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ** ﴾لقمان: ٢٧ فكيف لبشر أن يحيط بكلمات الله عز وجل؟!

قال رحمه الله: **محفوظ في الصدور مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهي.**

هذا كله رد على الأشاعرة الذين يقولون: أن كلام الله شيء واحد الأمر والنهي كلها شيء واحد: ان قُرئ بالعربية فهو القرآن، وان قُرئ بالسريانية فهو الإنجيل، أو بالعبرانية فهو التوراة. نقول: لا، القرآن مختلف القرآن مجزأ ومقسم وكلها كلام الله سبحانه وتعالى.

﴿ **لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ** ﴾ فصلت: ٤٢، وقوله تعالى ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا** ﴾ الإسراء: ٨٨، وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا ﴿ **لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ** ﴾ سبأ: ٣١، وقال بعضهم ﴿ **إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ** ﴾ المدثر: ٢٥.

هو أراد بهذا في قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ أراد أن يقول: إن هذا القرآن هو بصوت وبحروف وبكلمات يعرفها العرب، وليس كلاما قائما بالنفس وهو كلام الله سبحانه وتعالى ليس كلام جبريل ولا كلام محمد ﷺ، ولهذا قال الله عنهم ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ فالله عز وجل رد على من قال هذا الأمر بقوله ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ المدثر: ٢٦، وقال بعضهم: هو شعر ولو لم يكن هذا القرآن بحرف وبصوت لما قالوا عنه إنه شعر -الشعر الذي يعرفونه- فرد الله عز وجل عليهم هذا الأمر.

قال الله جل وعلا ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ وقال بعضهم هو شعر قال الله ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ يس: ٦٩، فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر.

لو كان كلاما نفسياً ما قالوا إنه شعر.

وقال عز وجل ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٣، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدرى ما هو ولا يعقل، قال تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ﴾ يونس: ١٥.

وهذا يدل على أن هذا القرآن ليس كلام النبي ﷺ. النبي ﷺ بلغ هذا القرآن فليس معناه أنه كلام النبي ﷺ؛ فأنت الآن حينما تقول قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كذا وكذا فأنا الذي نقلت هذا القول لكن هل هذا القول ينسب لي أو لشيخ الإسلام؟ هو ينسب لشيخ الإسلام لأنه هو الذي قاله وهو الذي تكلم به؛ فكذلك النبي ﷺ هو يبلغ ما جاءه من الله سبحانه وتعالى فكونه تكلم به ليس معناه أنه كلام النبي ﷺ بل كلام من نسب إليه هذا القرآن وهو الله عز وجل.

فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم، وقال تعالى ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾العنكبوت: ٤٩ وقال تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ الواقعة: ٧٧ - ٧٩، بعد أن أقسم على ذلك، وقال تعالى ﴿ كَـٓهيعَـٓصَ ﴾ مريم: ١، وقال سبحانه ﴿ حمٓ ﴿١﴾ عَسَقَ ﴾ الشورى: ١ - ٢، وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

فالقرآن هو حرف وصوت، وهذا القرآن كلام الله فإذاً كلام الله عز وجل نثبت أن كلام الله يكون بالحرف ويكون بالصوت ويكون بالنداء كما مر معنا.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة) حديث صحيح.

هذا حديث ضعيف ويغني عنه قول النبي ﷺ: **(من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها أما إني لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)**[1] وفيها إثبات صفة الحرف لهذا القرآن وإثبات أن كلام الله عز وجل يكون بحرف وصوت.

وقال ﷺ (إقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه).

هذه من علامات الزمان بيان من النبي ﷺ أنه يكون قوم يقيمون القرآن: يقيمون الحروف إقامة صحيحة سليمة لكنّهم مع هذا لا يجاوز حناجرهم قال: (يتعجلون أجره) في الدنيا (ولا يتأجلونه) من الله نسأل الله عز وجل أن يعصمنا وإياكم.

---

(١) سنن الترمذي (٥/١٧٥).

قوله يقيمون حروفه هذا فيه إثبات صفة الحرف للقرآن قال: (إقامة السهم) يعني: كالسهم في إتقانه وجودته فيقرئونه بشكل صحيح (لا يجاوز تراقيهم) يعني: حلوقهم يتعجلونه ولا يتأجلونه.

قال أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه).

إعراب القرآن مرادهم من إعراب القرآن: العمل به، العمل بهذا القرآن وإتقان قراءته أحب من حفظه أو من حفظ بعض حروفه، وهذا أيضا فيه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفهمون أن القرآن بحرف، والنبي ﷺ قال: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)**[1].

فالصحابة كانوا يُثبتون أن القرآن بحرف والقرآن كلام الله فإذاً نثبت أن كلام الله بصوت وحرف.

وقال علي رضي الله تعالى عنه: (من كفر بحرف منه فقد كفر به كله) واتفق المسلمون على عَدِّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه؛ أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

هذا نهاية كلام المصنف رحمه الله في إثبات صفة الكلام لله عز وجل، وإثبات أن القرآن هو كلام الله، وكما مر معكم في بداية الحديث مذهب أهل السنة والجماعة في هذا إثبات أن كلام الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته عز وجل وهو قديم النوع حادث الآحاد، وأن الله عز وجل يتكلم بكلام يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب، وأن كلام الله سبحانه وتعالى يسمع وأنه بصوتٍ وحرف، كما دل على ذلك هذه الآيات والأحاديث والآثار عن الصحابة. هو أراد من هذا السرد الطويل لهذه النصوص من القرآن والسنة والآثار أن يثبت أمرين:

الأول: أن القرآن كلام الله.

---

(١) سنن ابي داود (٤/٣٢٩).

الثاني: القرآن حروف وأصوات، وكلام الله يكون بحرفٍ ويكون بصوت هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وليس مذهب المخالفين لهم الذين قالوا أن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس كما قال الأشاعرة أو المعتزلة الذين قالوا: هو مخلوق منفصل عن الله سبحانه وتعالى.

الدرس السادس

فصلٌ في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

هنا شروع من المصنف – رحمه الله – في بيان رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة. وهذه المسألة من المسائل العظيمة والمهمة التي يتحدث عنها العلماء في كتب الاعتقاد؛ فما من عالم صنف في الاعتقاد إلا وجعل من بين الفصول التي يعقدها الحديث عن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، والسبب في ذلك هو لمن خالف أهل السنة والجماعة من المعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم في هذا الباب.

ومن اهتمام العلماء بهذه المسألة أنهم صنفوا فيها مصنفات خاصة؛ مثل كتاب "الرؤية" للإمام الدارقطني، وكتاب "التعريف بالنظر إلى الله في الآخرة" للإمام الآجري، والإمام الآجري كما أفرد هذا الكتاب أيضاً تحدث عن هذه المسألة في كتابه " الشريعة " – رحمهم الله تعالى رحمة واسعة–.

المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة؛ يرونه بأبصارهم، وهذه المسالة دل عليها الدليل من القرآن ومن سنة النبي ﷺ. وقد خالف في ذلك المعتزلة؛ فقالوا: إنّ المؤمنين لا يرون الله يوم القيامة، فنفوا رؤية المؤمنين لربهم.

أما الأشاعرة فإنهم أثبتوا الرؤية لكنهم أثبتوها إلى غير جهة! والسبب في ذلك أن الأشاعرة كما تعلمون (وخاصةً المتأخرين منهم) ينفون علو الله فلو أثبتوا الرؤية إلى جهة لأثبتوا العلو لله، لكنهم أرادوا الهرب من إثبات العلو لله؛ فقالوا: المؤمنون يرون ربهم ولكن ليس إلى جهة! ولهذا فإن هذا الأمر كان من الأمور التي رد بها المعتزلة على الأشاعرة؛ وقالوا: إن هذا القول يخالف المعقول؛ فإما أن تثبتوا العلو وتثبتوا الرؤية، وإما أن تنفوا العلو وتنفوا الرؤية؛ لكنهم نفوا العلو وأثبتوا الرؤية إلى غير جهة.

أهل السنة والجماعة توسطوا، وأثبتوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، واستدلوا على ذلك بأدلة، فمن ذلك قول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣.

ناضرة الأولى من النضرة والضياء، إلى ربها ناظرة؛ هنا المراد: نظر البصر، ولهذا أوّل الأشاعرة وغيرهم هذه الآية، وقالوا المراد بقوله ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة:٢٣ أي: منتظرة لثواب الله. وبالتأمل في الآيات في كتاب الله – عز وجل – نجد أن الرؤية إما أن تُعدَّى بنفسها، أو أن تتعدى بحرف. فإما أن تعدى بنفسها كقول الله – عز وجل – ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ الحديد: ١٣، وقول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾ الأعراف: ٥٣، فالنظر هنا لم يُعدَّ بحرف؛ وإنما عُدِّي بنفسه؛ فيكون المعنى هنا: الانتظار.

أما إذا عُدِّيت بحرف الـ (في) مثلاً ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾يونس: ١٠١، فيكون معناه: التفكر.

واذا عدى ب (إلى)، مثل قول الله: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ ﴾ الأنعام: ٩٩، وقول الله – عز وجل –: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾. فيكون معناه: الرؤية البصرية.

ومن أدلة أهل السنة والجماعة قول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾يونس: ٢٦، فقد فسر العلماء الزيادة بأنها: النظر إلى وجه الله – سبحانه وتعالى –، بل إن من أعظم النعيم – نسال الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم من أهله – من أعظم النعيم الذي يجعله الله – سبحانه وتعالى – لأهل الجنة هو: النظر إلى الله – سبحانه وتعالى –. ولذا كان من عذاب الكفار؛ كما قال الله – عز وجل –: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ المطففين: ١٥، فلما حجب الله الكفار عن رؤيته، كان من نعيم أهل الجنة أن ينظروا إلى ربهم – سبحانه وتعالى –.

أيضاً مما استشهد به العلماء قول الله – سبحانه وتعالى – في قصة موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾الأعراف: ١٤٣، فهذا من دليل المبتدعة على نفي الرؤية، لكن أهل السنة يستدلون به على إثبات الرؤية، كيف؟

موسى – عليه السلام – نبي من أنبياء الله ولن يطلب من الله – عز وجل – إلا ما أذن الله – عز وجل – به؛ فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾الأعراف: ١٤٣

الأمر الثاني أن الآية ليس فيها نفي للرؤية، وإنما فيها نفي لإدراك الرؤية في الدنيا كما سيأتي معنا.

المعتزلة يقولون: إن قول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾الأعراف: ١٤٣ دليل على نفي الرؤية؛ لأن (لن) معناها النفي المؤبد، فرد عليهم علماء اللغة وقالوا كما قال ابن مالك:

ومن ادعى النفي بلن مؤبد فقوله اردد وسواه فاعضدا.

يقول: من يظن أن معنى (لن) النفي المؤبد فهذا قوله مردود. والدليل على هذا قول الله وتعالى: ﴿ فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ مريم: ٢٦، فهنا دخلت (لن) وحددها الله باليوم؛ فلو كانت (لن) بمعنى النفي المؤبد لما أتت لفظة (اليوم) فدل على عدم الاستدلال بهذه الآية بالنسبة للمعتزلة.

أيضاً من الأدلة على رؤية الله يوم القيامة قول النبي ﷺ: **(إنكم سترون ربكم [يوم القيامة] كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته)**[1]" وهذا بيان لرؤية المؤمنين لربهم – عز وجل – والتشبيه هنا: هو التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ فكما أنكم ترون القمر بأبصاركم والناس على كثرتهم وأعدادهم لا يحجب بعضهم بعضاً؛ فكذلك رؤية المؤمنين لله تكون بأبصارهم، وكل من أذن الله – عز وجل – له بهذه الرؤية فإنه يرى الله – سبحانه وتعالى –.

أيضاً من الادلة التي استدل بها على نفي الرؤية قول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣ □

قالوا: هذا دليل على نفي الرؤية !

والجواب: أن هناك فرق بين الرؤية والإدراك. تأمل معي في قول الله – عز وجل – لقوم موسى؛ قالوا: ﴿ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾ الشعراء: ٦١، هم يعلمون أنهم يرونهم؛ لكن أصبحوا بقرب

(١) صحيح البخاري (١/٥٦٥).

منهم بحيث أصبح بالإمكان إدراكهم؛ فقالوا: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾، فهناك فرق بين الرؤية والإدراك. المؤمنون يرون الله يوم القيامة لكنهم لا يدركونه؛ كما قال الله – عز وجل –: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾الأنعام: ١٠٣.

أيضاً من المسائل في هذا الباب: رؤية النبي ﷺ لربه، وهذه نقسمها كالتالي:

المسألة الأولى: رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا عياناً، هذه أجمع أهل السنة والجماعة على عدم إثباتها. فالنبي ﷺ لم يرَ ربه في الدنيا عياناً.

وبناءً عليه فإذا كان النبي ﷺ لم يرَ ربه عياناً؛ فغيره من البشر من باب أولى. ولهذا قال النبي ﷺ في حديث الدجال: (**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**)[1] فالرؤية البصرية في الدنيا لا تكون، ولهذا قال الإمام البربهاري – رحمه الله –: من زعم أنه ربه في الدنيا عياناً فقد كفر!

المسألة الثانية: رؤية الله في المنام؛ هل يُرى الله – عز وجل – في المنام؟

أهل السنة والجماعة يقولون: إن رؤية الله في المنام للناس جائزة؛ فقد يرى الناس ربهم في الدنيا لكنها رؤية حقيقية، بل يرونه حسب إيمانهم.

يقول شيخ الإسلام: فكلما كان إيمانهم قوياً؛ كلما اكتملت الصورة، وينقص بنقص إيمانهم. ثم بعد ذلك، هذه الرؤية تُعبَّر وتُؤول؛ فنقول: تعبير رؤياك كذا، فهي ليست حقيقة وإنما هي رؤيا، وهذه أجازها أهل السنة والجماعة.

مسألة رؤية النبي ﷺ لربه في المنام إذا كانت لغير النبي ﷺ جائزة؛ فالنبي ﷺ من باب أولى.

المسألة التي يتحدث عنها العلماء في رؤية النبي ﷺ لربه لها وجهان:

الوجه الأول: أنه ورد في حديث اختصام الملأ الأعلى أن النبي ﷺ رأى ربه في منامه. دليله أن الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا ينتظرون النبي ﷺ لصلاة الصبح فتأخر عليهم حتى كاد أن يطلع الشمس، فأتى النبي ﷺ فأقيمت الصلاة وتجوّز فيها، ثم قال – ﷺ – (**بين لهم سبب تأخره وأنه كان يصلي من الليل، ثم نام فرأى ربه – سبحانه وتعالى –، أتاني الليلة**

---

(١) صحيح مسلم (١٩٣/٨).

آت من ربي وفي رواية رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي يا محمد قلت لبيك وسعديك قال هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أعلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض أو قال ما بين المشرق والمغرب قال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت نعم في الدرجات والكفارات)[1]

فهذا الحديث دل على رؤية النبي ﷺ لربه في المنام، وهذا يثبته أهل السنة والجماعة، لكن فيما يتعلق بليلة المعراج حينما أُسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، وعُرج به إلى السماء، هل رأى النبي ﷺ ربه؟

هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها الصحابة، واختلف فيها أهل السنة والجماعة.

القول الأول: من ينفي الرؤية مطلقاً، وهذا قول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، وكان من قولها: أن من زعم أن النبي رأى ربه فقد افترى على الله.

القول الثاني: من قال بالرؤية مطلقاً بدون تحديد، وهو قولٌ لابن عباس وممن قال به الإمام أحمد - رحمه الله -.

القول الثالث: أن المراد بها الرؤية القلبية، وهو قول لابن عباس - رضي الله عنهما - وأيضاً قول في رواية للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -.

القول الرابع: أنه رآه مرة ببصره، ورآه مرة بقلبه.

ومن العلماء من توقف في هذه المسألة.

وبالتأمل في النصوص الواردة في هذه المسألة نجد أن القول الراجح - والله أعلم - أنه رآه رؤية قلبية،

ما معنى الرؤية القلبية؟ ليس معناها العلم كما ذكر ابن حجر - رحمه الله -، وإنما إدراكٌ يجعله الله - عز وجل - في قلب نبيه ﷺ كما جعل الإدراك في البصر به يرى الله - سبحانه وتعالى-.

---

(١) سنن الدارمي (٢/١٧٠).

الآيات القرآنية لم تدل على النفي ولا على الإثبات، كذلك سنة النبي ﷺ، كل الآيات التي يُستدل بها والأحاديث كذلك ليس فيها إثبات ولا نفي، بل الذي في بعض الأحاديث هو نفي الرؤية البصرية كما قيل للنبي ﷺ: أريت ربك؟ **(قال: نور أنى أراه)**[1]؟!

وفي حديث مسلم أن النبي ﷺ قال: تعلمون أن العبد لا يرى ربه في الدنيا حتى يموت. فهذا دليل على أن الرؤية البصرية غير واردة.

طيب كيف الجمع بين قول ابن عباس أنها رؤية قلبية، وبين قول عائشة - رضي الله عنها- ؟

الأمر الأول: قال العلماء: يُجمع بينها بأن نفي عائشة - رضي الله عنها - نفيا للرؤية البصرية، وإثبات ابن عباس - رضي الله عنهما - إثبات للرؤية القلبية؛ فلا تعارض.

الأمر الثاني: أن ابن عباس - رضي الله عنه - مُثبت، وعائشة - رضي الله عنها - نافية، وفي القواعد الأصولية أن المُثبت يقدم على النافي.

الأمر الثالث: من الأدلة: أن هذه المسألة من المسائل التي لا مجال للرأي والاجتهاد فيها، فابن عباس - رضي الله عنهما - إذا قال إنه رأى أن النبي ﷺ رأى ربه في ليلة المعراج بقلبه، فلا بد أن يكون قد أخذها من النبي ﷺ.

حاصل المسألة، أن هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها أهل السنة والجماعة، والصحيح في هذه المسألة أن رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج كانت رؤية قلبية، وهذا قول ابن عباس - رضي الله عنهما -، وأبو هريرة، والإمام أحمد، وهو الترجيح الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -.

طبعاً من العلماء من قال إن الرؤية بصرية وهذا الذي رجحه الإمام النووي، وبعض العلماء، لكن كما ذكرت أن الصحيح أن الرؤية هي رؤية قلبية.

الإمام الذهبي - رحمه الله - حينما تحدث عن هذه المسألة قال: وهذه المسألة مما لا يُعنَّف على المخالف فيها، فكل من قال بقول؛ فمعه دليل، والتوقف في هذه المسألة - وهو يرى التوقف في هذه المسألة - قال: وإنما يُعنَّف الذي ينكر رؤية الله - عز وجل - في الآخرة.

---

(١) صحيح مسلم (١/١١١).

هذا باختصار خلاصة المسائل التي يذكرها العلماء في هذه المسألة.

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه.

وهذه تقدمت معنا أن الله - عز وجل - يأذن لأهل الجنة بيوم الجمعة فيزورون الله - سبحانه وتعالى -، وأيضاً يكلمهم ويكلمونه - سبحانه وتعالى - بدليل قول النبي ﷺ: أن الله - عز وجل - يقول: (يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك)[1]. متفق عليه

قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣

النظر هنا عُدِّي بإلى، وإذا عدي النظر بإلى فيكون معناه: الرؤية البصرية.

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين: ١٥ فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق.

هذا هو وجه الشاهد والاستنباط من هذه الآية، أنه كما حجب الله - عز وجل - هؤلاء وجعله عذاباً لهم، فإنه في حال الرضى يكون رحمةً من الله بأولئك المؤمنين الذين يرون ربهم - عز وجل -.

وقال النبي ﷺ: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته". حديث صحيح متفق عليه، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

وقد تقدم الحديث عن هذا الحديث، ووجه الشاهد.

فصلٌ (القضاء والقدر)

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد.

هذا شروع من المصنف - رحمه الله - للحديث عن مسألة القضاء والقدر.

---

(١) صحيح البخاري (١١/٤٩٥)، صحيح مسلم (٨/١٤٤).

ومسألة القضاء والقدر من المسائل التي زلت فيها الأقدام، وحدث فيها الخلاف بين الفرق الإسلامية، والسبب في ذلك هو الخوض في تعليل أفعال الله – سبحانه وتعالى –.

الإيمان بالقضاء والقدر كما تعلمون من أركان الإيمان، وقد قال النبي ﷺ في حديث جبريلوهو حديث أم السنة ، قال لما سُئل عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1]. وقال تعالى –: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ القمر: ٤٩

فالإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان التي أوجبها الله – سبحانه وتعالى –، وقد كان النبي ﷺ ينهى صحابته الكرام عن الخوض في القدر، وذلك للخلاف الذي يُحدثه الخوض فيه بلا علم، وهو من مداخل الشيطان على الإنسان، ولهذا فقد قال النبي ﷺ: **(وإذا ذكر القدر فأمسكوا)**[2].

فإذا كان النبي ﷺ نهى عن الخوض في القدر، فلماذا يتحدث العلماء فيه ؟ ولماذا يبينونه ؟

النبي ﷺ نهى عن الخوض في القدر لمن لا يحسن الخوض فيه، ولمن يخوض فيه بالباطل، أو يخوض فيه بجهل لأنه مزلة قدم فنهى النبي ﷺ عن الخوض فيه.

أما الحديث بعلم، فقد تحدث فيه النبي ﷺ، وأورد الصحابة – رضوان الله عليهم – الأحاديث الكثيرة في هذا الباب، وتحدث صحابة النبي ﷺ وردوا على القدرية الذين هم من أوائل الفرق التي خرجت في الإسلام. رد الصحابة – رضي الله عنهم – عليهم، وصنف العلماء في هذا الباب حتى يكون الناس على بصيرة وبرهان.

ما معنى القضاء والقدر؟

من العلماء من قال: إنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فالقضاء بمعنى القدر والقدر بمعنى القضاء.

---

(١) صحيح مسلم ((٢٨/١).

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني (٧٥/١).

ومن العلماء من قال: إن القدر هو اسم لما يقع قبل المقدور؛ فقبل أن تقدر الأمور وتقع فهذا يسمى قدر.أما في حال وقوعها وبعده فيسمى قضاءً، ولهذا قال النبي ﷺ:**(وقني شر ما قضيت)**[١].

وهذا هو الراجح؛ لأن مادة القدر مختلفة عن مادة القضاء فيكون هناك فرق بينهما.

الإيمان القضاء والقدر على أربعة مراتب، ومن العلماء من يقول إن الإيمان به على مرتبتين.

نبين المراتب الأربع:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، بأن نعلم بأن الله – عز وجل – علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعلم ما يفعله العباد من خير وشر ﴿ **لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ سبأ: ٣، سبحانه وتعالى.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة. وهو أن نعلم أن ما يحدث في هذه الأرض فإن الله – عز وجل – قد أمر بكتابته في اللوح المحفوظ، ففي هذا اللوح المحفوظ مقادير الخلائق وما كان وما سيكون إلى يوم القيامة. يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ الحج: ٧٠، ويقول – سبحانه وتعالى –: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ﴾ التوبة: ٥١، والنبي ﷺ قال في حديثه الصحيح: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء) رواه مسلم [٢].

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة؛ وهي المشيئة الكونية، فما يحدث في هذا الكون من شيء إلا بمشيئة الله سواء الخير أو الشر، الكفر والإيمان والطاعة والمعصية كلها بمشيئة الله الكونية، وهذا الذي قد بينه الله – عز وجل –: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾الإنسان: ٣٠، وقال النبي ﷺ: (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء)

---

(١) سنن ابي داود (٥٣٦/١).

(٢) صحيح مسلم (٥١/٨).

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، فالله خالق كل شيء. فكل الكائنات مخلوقة لله بذواتها وأوصافها لا يخرج عنها شيء، يقول – سبحانه وتعالى –: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ الرعد: ١٦، ويقول – عز وجل –: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾الزمر: ٦٢، ويقول – سبحانه وتعالى – مبيناً المشيئة والخلق: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ ﴾القصص: ٦٨.

وهذه الأركان الأربعة جمعها الشاعر في قوله:

علم كتابة مولانا مشيئتـه خلقه وهو إيجاد وتكوين

هذه هي المراتب الأربع.

ومن العلماء من يقسمها إلى قسمين كما قسمها شيخ الإسلام – رحمه الله – في الواسطية.

القسم الأول: ما يكون قبل وقوع المقدور وهذه مرتبة العلم والكتابة.

القسم الثاني : ما يكون حال وقوعه أو بعده وهو المشيئة والخلق. وما أحسن ما قاله الأول:

وما شئت كـان وإن لـم أشـأ لم يكن وما شئت إن لم تشأ لم يكـن

خـلـقـت الـعـبـاد عـلـى مـا علمـت وفي هذا يجري الفتى والمسن

فعـلى هــذا مـننت وهـذا خـذلـت وهــذا أعنت وذا لـم تـعــن

فـمنـهـم شـقـي ومـنـهـم سـعـيـد ومنـهم قبيــح ومنهـم حسـن

فكل شيء بإرادة الله وقدره. إذاً الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان العظيمة التي يجب أن يدين بها العبد لله – سبحانه وتعالى –، والإيمان بها له ثمرات عظيمة: طمأنينة القلب، وراحة البال؛ لأن العبد يعلم أن ما شاء الله – عز وجل – وقدره لا بد أن يكون. لذا تجد أهل الإيمان أكثر طمأنينة وراحة وسعادة، وتأمل في المشركين الذين كانوا في شركهم يجزعون ولا يصبرون، فلما آمنوا بالله وتذوقوا طعم الإيمان تبدلت أحوالهم وتغيرت حياتهم وهذا واضح لكل من استقرأ السيرة والتاريخ في أولئك القوم الذين هذب الإسلام أخلاقهم وأرواحهم.

من المسائل المتعلقة بالقضاء والقدر مسألة التقدير. الله – عز وجل – يقول في كتابه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الرعد: ٣٩.

يقول العلماء: التقدير على مراتب.

١-التقدير العام، وهذا الشامل لقضاء الله وقدره؛ الشامل لعلم الله، وكتابته، ومشيئته، وخلقه

٢-التقدير البشري، الذي قال الله – سبحانه وتعالى – فيه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾الأعراف: ١٧٢، فهذا التقدير البشري لجميع البشر.

٣- التقدير العُمري، وهو الذي يكون عند ولادة الإنسان؛ كما قال النبي ﷺ: **(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بكتب أربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد)**[1]. فهذا التقدير العمري في عمر الإنسان.

٤- التقدير السنوي الذي يكون في كل عام، في ليلة القدر؛ كما قال – سبحانه وتعالى-: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ الدخان: ٤، وقال – سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ القدر: ١ – ٥. هذه أنواع التقدير.

فالتقدير الثابت هو الموجود في أم الكتاب؛ الموجود في اللوح المحفوظ.

أما التقدير الذي يختلف فهو بما في أيدي الملائكة من التقدير السنوي أو التقدير العمري.

وهذا معنى قول النبي ﷺ: **(لا يرد القدر إلا الدعاء)**[2].

كيف يرده ؟

---

(١) صحيح البخاري (٨/٢٥٩).

(٢) مسند أحمد (٣٧/٩٥).

نقول: يرد القدر الموجود بأيدي الملائكة من التقدير السنوي، أو التقدير العمري، أما في اللوح المحفوظ فكما قال الله: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الرعد: ٣٩.

من المسائل أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة؛ فنحن نثبت المشيئة لله – عز وجل –، لكن ليس معنى هذا أن البشر ليس لهم مشيئة، البشر لهم مشيئة، وقد أثبتها الله لهم، الله – عز وجل – قال: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾البقرة: ٢٢٣، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ البلد: ١٠، وقال – عز وجل –: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾الكهف: ٢٩، والواقع شاهد، الإنسان مخير، بإمكانه أن يذهب إلى حلقة العلم، وبإمكانه أن يمتنع، بإمكانه أن يذهب إلى المسجد، وبإمكانه أن يذهب إلى معصية، فهذا التخيير موجود لدى الإنسان والواقع شاهد بهذا أن كل إنسان له مشيئته التي يفعل بها ويترك.

خالف أهل السنة والجماعة في باب القدر صنفان:

الأول القدرية.

الثاني الجبرية.

وكل صنف منهما فيهم الغلاة وفيهم من هم دون ذلك.

فالقدرية هم نُفاة القدر، وهم على قسمين:

القسم الأول: الغلاة وهم الذين نفوا علم الله – سبحانه وتعالى –.وكانوا يقولون إن الأمر أُنف: يعني الأمر مستأنف، الله – عز وجل – لا يعلم إلا إذا وقع الأمر؛ وهذا ظهر في حياة الصحابة – رضي الله عنهم – وقد ردوه رداً عظيماً، فكانوا يقولون: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أثبتوه خُصموا، وإن أنكروه كفروا! وهذا الصنف من القدرية قد انقرض بفضل الله – عز وجل – ثم بجهود الصحابة – رضي الله عنهم – الذين ردوا عليهم وشددوا في قولهم.

القسم الثاني: المعتزلة، الذين قالوا: إن الله – عز وجل – لا يخلق أفعال العباد؛ وإنما العباد هم الذين يخلقون أفعالهم. لماذا؟

قالوا: لأن العباد في أفعالهم الخير والشر؛ فإذا فعلوا شراً قلنا: هذا من خلق الله ، وسيأتي معنا أن هذا من الأمور التي لم يستطيعوا أن يجمعوا النصوص الشرعية فيها، إذاً هذا هم القدرية.

الصنف الثاني: الجبرية، والجبرية على صنفين أيضاً

١- الغلاة وهم الجهمية الذين قالوا: إن العبد مجبور، وهو لا يملك شيئاً، ولا يقدر على شيء، وهو كالريشة في مهب الريح. ليس بيده أمر ولا منع ولا نهي ولا فعل، وهؤلاء هم الجهمية.

٢- الأشاعرة، وقد أتوا بقول أضحكوا جميع الطوائف منهم. هم ماذا يقولون؟

يقولون: أن الله - عز وجل - هو الذي خلق فعل العبد، والعبد له قدرة،وفي الظاهر غير مجبور، لكنه في الباطن مجبور، فهم يقولون: بالجبر في الباطن دون الظاهر. ولهذا أتوا بمصطلحٍ جديد لم يعرفه أحدٌ قبلهم وهو مصطلح الكسب؛ فقالوا: الأفعال التي يفعلها العبد هي كسبٌ له، وخلقٌ لله - عز وجل -. كيف ذلك؟ قالوا: الآلة (السكين) حينما تأخذ السكين، وتقطع بها، يقولون: القطع لم يحصل بالسكين ذاتها، وإنما حصل بالإمرار؛

فهم يقولون: إن العبد مجبورٌ في الباطن، ومختارٌ في الظاهر، فأتوا بمصطلح الكسب الذي قال عنه أحد العلماء:

ومما يقال ولا حقيقة تحته مفهومة تدنو الذي الأفهام

الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظّام.

يقولون: هذه الأمور الثلاثة لا معنى لها!

الحال عند البهشمي، (البهشمي): أبو هشام، من المعتزلة خالف المعتزلة وقال: إن صفات الله - عز وجل - غير الذات، وهذه الصفات لا موجودة، ولا معدومة، وأتى بقول لا أساس له من الصحة !

والكسب عند الأشعري: هو الذي بيناه أنهم يقولون: إن العبد في ظاهره مختار، لكنه في الباطن مجبور.

وطفرة النظّام: النظام أتى بطفرة، يقول: إن الإنسان حين ينتقل من مربع واحد إلى مربع ثلاثة لا يمر على مربع اثنين، أو يقولون: إن النملة تتحرك من مكان إلى مكان دون حركة !

هم يقولون: إن هذا قد يصدق فيزيائياً وكيميائياً؛ لكنه عقلاً مردود !

من المسائل أن هناك فرقٌ بين المشيئة والإرادة. المشيئة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، والمشيئة مشيئة كونية يدخل فيها ما يحبه الله وما لا يحبه، ما يرضاه الله وما لا يرضاه الله؛ فكل هذا داخل تحت مشيئة الله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾الإنسان: ٣٠.

أما الإرادة فقد تكون إرادة كونية يدخل فيها ما يحبه الله وما لا يحبه، وقد تكون إرادة شرعية، والإرادة الشرعية: هي التي يحبها الله ويرضاها، وهو معنى قول الله – عز وجل –: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥.

المشيئة لا تكون الا كونية اما الارادة فقد تكون شرعية وقد تكون كونية

المسألة الأخيرة في باب القدر: حكم الاحتجاج بالقدر على المعاصي، يفعل العبد المعصية ويقول: إنما فعلتها بقضاء الله وقدره! فما حكم الاحتجاج بها؟ نقول: لا يجوز، لأن الله – عز وجل – أرسل الرسل، وأنزل الكتب ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾النساء: ١٦٥، ولو كان يجوز للناس أن يحتجوا بالقضاء والقدر على المعاصي لما كان لإرسال الرسل فائدة، ولا لإنزال الكتب فائدة، إذاً فلا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر على المعاصي.

يقولون: أتى رجل إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فسرق فأمر بقطع يده، فلما قُدّم لقطع يده؛ قال: مهلاً يا أمير المؤمنين، والله ما سرقت إلا بقضاء الله وقدره! قال: وأنا والله لن أقطع يدك إلا بقضاء الله وقدره.

ثم إنك تتعجب! هؤلاء الذين يحتجون بالقضاء والقدر على المعاصي يحتجون فيما بينهم وبين الله، أما ما بينهم وبين البشر فلا يحتجون. فلو أتى إنسان واعتدى على ماله أو اعتدى على عرضه لأقام الدنيا وأقعدها، لكنه يفعل المعصية ثم يقول: هذا بقضاء الله وقدره! فإذا صح أن نستشهد بالقضاء والقدر على فعل المعاصي فيما بيننا وبين الله، فكذلك يصح للآخرين أن يستشهدوا بالقضاء والقدر فيما بينهم وبين الخلق، وإلا فإن الأصل أنه لا يجوز.

يقول العلماء: إن الاحتجاج بالقضاء والقدر يجوز في المصائب لا في المعائب، يجوز أن تحتج بالقضاء والقدر في المصائب، كيف ؟

إنسان كان غنياً وافتقر يقول: بقضاء الله وقدره، إنسان كان صحيحاً وسقط وأصبح لا يستطيع الحركة يقول: بقضاء الله وقدره؛ فهذا جائز، بل هو مما يدل على الإيمان في قلب العبد،

ولا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر في المعايب؛

المعايب: المعاصي التي يفعلها الإنسان لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر.

فالاحتجاج بالقضاء والقدر يجوز في المصائب دون المعايب، دليل ذلك في قصة محاجة آدم لموسى – عليه السلام –، قال موسى: يا آدم، خلقك الله بيده، وخرجت من الجنة بالمعصية.

فقال: يا موسى، أنت موسى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه؛ لم تلمني في أمر قد قضاه الله وقدره علي قبل أن يخلقني، قال: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى.

فهذا دليل على أنه يجوز الاحتجاج بالقدر في المصائب، ويجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر في المعاصي؛ لكن بعد التوبة منها والإنابة إلى الله – سبحانه وتعالى –.

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور.

ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، هذا المرتبة الثانية وهي: مرتبة الكتابة في اللوح المحفوظ، وقبلها تحدث – رحمه الله – عن مرتبة المشيئة.

أراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم.

فكل شيء في هذا الكون بقضاء الله وقدره، ولهذا ينبغي أن ينتبه الإنسان أنه أحياناً يبحث عن الحكمة من تقدير الله – عز وجل – لبعض الأمور؛ فيقع في الزلل والخطأ!

ولهذا يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهموا حكمة له ... فصاروا على نوع من الجاهلية

يبدأ الإنسان يسأل نفسه: لماذا خلق الله بعض المخلوقات التي تؤذي الناس؟ لماذا خلق الله الثعابين؟ لماذا خلق الله العقرب؟ لماذا خلق الله المعصية ؟ لماذا شاء الله – عز وجل – كفر الكافر؟ كلها بإرادة الله وقدره ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٣، نحن كبشر قد يظهر لنا شيء من هذه الحكمة؛ ولكن ليس شرطاً أن تظهر لنا الحكمة جميعها. المهم أن نعلم أن الله – عز وجل – لو عذب العباد لعذبهم بعدله، وإذا أدخلهم الجنة فإنه يدخلهم برحمته – سبحانه وتعالى –.

يهدي من يشاء بحكمته قال الله تعالى ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾، وقال الله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩، وقال تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ الفرقان: ٢.

هذا الآن الكلام على مرتبة الخلق.

وقال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ الحديد: ٢٢ وقال تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ الأنعام: ١٢٥.

هذا دليل على أن الإرادة غير المشيئة. المشيئة هي: مشيئة كونية يدخل فيها ما يحبه الله وما لا يحبه – عز وجل –. أما الإرادة: فقد تكون إرادة كونية؛ كما قال – عز وجل –: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ وقد تكون شرعية ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾.

وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره؛ فقال جبريل صدقت. متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: (آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره) .

هذا فيه إثبات أن القدر بخيره وشره وحلوه ومره كله بمشيئة الله – سبحانه وتعالى –؛ لكن ينبغي أن نعلم أن الشر لا ينسب إلى الله، وإنما ينسب إلى أفعال العباد؛ كما ورد: **(والشر ليس إليك)**[1] فالله – عز وجل – لا يخلق شراً محضاً. قد يراه الإنسان في ظاهره أنه شر؛ لكن في باطنه كما قال: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾البقرة: ٢١٦، وقد يكون شرا نسبي؛ هو شر لبعض الناس لكنه خير لأناس آخرين.

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: وقني شر ما قضيت .ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه؛ بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل كما قال الله تعالى ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾النساء: ١٦٥.

وهذا دليل على أنه لا يجوز للإنسان أن يحتج بالقضاء والقدر على فعل المعاصي؛ لأنه لو جاز لجاز للمشركين الذين قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾الأنعام: ١٤٨. ولم يكن حينئذ لبعثة الرسل، وإنزال الكتب فائدة؛ ولكن لأن الله – عز وجل – أراد هداية الناس وإرشادهم وإقامة الحجة عليهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾، أرسل الرسل وأنزل الكتب لئلا يكون هناك حجة على فعل المعاصي.

ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك.

هذا الدليل الثاني أنه لا يجوز للإنسان أن يحتج بالقضاء والقدر على فعل المعاصي لأن الله – سبحانه وتعالى – أمر من ينطبق عليه شروط التكليف؛ فالمجنون ليس بداخل، غير المستطيع ليس بداخل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾البقرة: ٢٨٦، وهذا دليل على أن الإنسان يجب عليه أن يبادر إلى فعل الخير وأنه لا يجوز له أن يحتج بالقضاء والقدر على فعل المعاصي.

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥/٢).

وأنه لم يجبر أحدا على معصية ولا اضطره إلى ترك طاعة.

هذا الدليل الثالث أن الله – عز وجل – لم يجبر أحداً على فعل معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة؛ وهذا دليله الواقع ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾الكهف: ٢٩، ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ البلد: ١٠. الإنسان أمامه طريق الخير وطريق الشر؛ فيسلك طريق الشر ويحتج بعد ذلك بالقضاء والقدر؟لماذا لا يسلك طريق الخير ولديه القدرة، والقدرة تأتي أن الله – عز وجل – لم يجبره على سلوك طريق الشر؟

قال الله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وقال الله تعالى ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن: ١٦، **وقال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾**غافر: ١٧.

وهذه من المسائل التي يتحدث عنها العلماء في باب القضاء والقدر أنه نفي للظلم عن الله ولهذا يقول الله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فصلت: ٤٦، فالله ليس من صفاته ظلمه لعباده؛ بل إن رحمهم فبفضله، وإن عاقبهم فبعدله.

فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يُجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب وهو واقع بقضاء الله وقدره .

هذه من المسائل التي انتقد فيها على الإمام ابن قدامه – رحمه الله –، وهو استخدامه للفظ "الكسب". لفظ الكسب ورد في القرآن؛ كما قال الله: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ البقرة: ١٣٤، والمراد به: العمل؛ لكن لفظ الكسب أصبح عند الأشاعرة علماً على ما يسمونه أن العبد محل للفعل؛ فهو مختارٌ ظاهراً لكنه في الباطن مجبور، وينبغي لطالب العلم إذا استخدم المبتدعة بعض الألفاظ وأصبحت علماً عندهم ألا يستخدمها، وإذا استخدمها فإنه يبين المقصود الشرعي منها، والإمام – رحمه الله – لا شك أنه يقصد في قوله: أن للعبد فعلا وكسبا، أن ما يفعله العبد هو من عمله، كما قال: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾.

فصلٌ (والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان)

الحديث من المصنف – رحمه الله – هنا عن الإيمان، وهو من المسائل التي بدأ الخلاف فيها مبكراً من عهد الصحابة – رضوان الله عليهم .

الإيمان في اللغة: التصديق الجازم، وفي الاصطلاح: هو ما جمع خمسة أركان: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان. وهذه التي يسمونها "النونات الخمس"، فهذا هو تعريف الإيمان.

الإيمان قد يأتي في القرآن ويراد به: المعنى اللغوي الذي هو التصديق الجازم،

وقد يأتي ويراد به: المعنى الشرعي الذي ذكرناه.

قال العلماء: غالباً أن الإيمان إذا ورد في القرآن بالمعنى اللغوي فإنه يُعدى (باللام)؛ كما قال الله – عز وجل –: ﴿ **وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا** ﴾ يوسف: ١٧، وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿ **فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ** ﴾ العنكبوت: ٢٦.

أما إذا أراد المعنى الشرعي فإنه يُعدى (بالباء): ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ البقرة: ٢٨٥.

ما الفرق بين الإسلام والإيمان؟ الأصل أن الإيمان هو الأعمال الباطنة؛ كما في حديث جبريل – عليه السلام –: **(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله)**[١] والإسلام يُعرَّف بالأعمال الظاهرة: **(شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة... الحديث)**[٢].

قال العلماء: والإيمان أخص من الإسلام؛ فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، وليس معنى هذا أن المسلم لا يكون معه شيء من الإيمان؛ بل لا بد أن يكون معه مطلق الإيمان، ورد في حديث وفد عبد القيس: أن الإيمان عُرِّف بالأعمال الظاهرة، قال: **(وآمركم بالإيمان**

---

(١) صحيح مسلم (١/٢٨).

(٢) صحيح مسلم (١/٣٤).

بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: لا، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا خمس المغنم)[1]، فهذا دليل على أن الأعمال الظاهرة تُطلق على الإيمان.

قال العلماء: الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فإذا ورد عندك نص فيه الإيمان والإسلام؛ فيكون الإيمان للأعمال الباطنة، والإسلام للأعمال الظاهرة. وإذا افترقا فيُفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والباطنة، وكذلك الإيمان.

من المخالفون لأهل السنة والجماعة في هذا الباب.؟

أول المخالفون لأهل السنة هم المرجئة؛ والمرجئة أصناف: منهم الكرّامية الذين قالوا: الإيمان هو قولٌ باللسان، فما دام أنك تقول الإيمان بلسانك وشهادة أن لا إله إلا الله؛ فأنت مؤمن! فكل من قال بلسانه فهو مؤمن ولو لم يعمل من الطاعات شيء.

الصنف الثاني من المرجئة الجهمية – القالون: الإيمان معرفة القلب، وعلى هذا فإبليس مؤمن لأنه يعرف الله! وفرعون مؤمن لأنه يعرف الله! ﴿ **وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ النمل: ١٤.

قال العلماء: إن الجهمية جعلوا إيمان أبي بكر وعمر كإيمان فرعون وغيره من هؤلاء الكفرة؛ لأن الجميع في فطرهم معرفة بالله – سبحانه وتعالى –. الأشاعرة قالوا: الإيمان هو التصديق؛ فإذا صدّق العبد بقلبه فهو مؤمن. وفي نهاية الأمر ليس هناك فرقٌ كبير بين قولهم وبين قول الجهمية؛ بل حتى الفروق التي ذكروها هي فروق ضعيفة جداً.

الصنف الثالث من المرجئة: مرجئة الفقهاء وهو قول أبي حنيفة وغيره – رحمه الله –. قالوا: الإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان؛ فأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان. وللأسف أن هذا القول – في الفترة الأخيرة – بدأ بعض طلبة العلم يميلون إليه مما حدا باللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية أن يردوا على الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وأصبح الكفر عندهم هو كفر الجحود والاستحلال؛ وهذا خطأ، لأن

---

(١) صحيح البخاري (١/٥٧).

الكفر كما يكون بالقلب يكون بالعمل، بل إن الأحناف - رحمهم الله - تجد مثلاً في مصنفاتهم الفقهية التكفير ببعض الأعمال. إذاً القول الصحيح: أن الإيمان هو قول وعمل واعتقاد، وهذا معنى قول النبي ﷺ: **(الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة؛ فأعلاها قول لا إله إلا الله - وهذا إشارة إلى القول - وأدناها إماطة الأذى عن الطريق - وهذا إشارة إلى العمل - والحياء شعبة من الإيمان - وهذا إشارة إلى عمل القلب -)**[1] فإذاً لا بد من اجتماع هذه الأمور الثلاثة.

بعض العلماء يقول: الإيمان قول وعمل واعتقاد،

ومنهم من يقول: إن الإيمان قول واعتقاد، ويعنون بالقول: قول القلب واللسان والجوارح، وبالاعتقاد: اعتقاد القلب واعتقاد اللسان،

ومنهم من يقول: هو قول واعتقاد.

فالحاصل أن المحصلة النهائية هو: قول وعمل واعتقاد.

أيضاً ممن خالف في هذه المسألة الخوارج؛ فالخوارج يقولون: إن الإيمان كلٌ لا يتجزأ؛ فمن فعل الكبيرة فهو كافر، ووافقهم على ذلك المعتزلة؛ إلا أن المعتزلة يقولون: هو في الاخرة مخلد في نار جهنم، لكنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين؛ بينما الخوارج يقولون: هو كافرٌ، وكانت هذه من أوائل المسائل التي ظهرت في الإسلام.

والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان.

فالإيمان لا بد له من هذه الأركان الثلاثة: قول اللسان، وعمل الأركان، و عقد الجنان. ومن هنا نعلم بطلان قول مرجئة الفقهاء، وبعض طلبة العلم المعاصرين الذين ذهبوا إلى أن العمل ليس من مسمى الإيمان.

يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٧٨/١٩)

هذا مذهب أهل السنة والجماعة. الإيمان يزيد وينقص؛ كما قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ الفتح: ٤، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ محمد: ١٧، فالإيمان يزيد وينقص، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

الأشاعرة يقولون: لا يزيد ولا ينقص، لأن الإيمان هو التصديق. نقول: حتى على قولكم، لو قلنا إن الإيمان هو التصديق؛ فالتصديق يزيد وينقص! الناس حينما تخبرهم بخبر عن ملائكة الله ففرق بين العالم الذي يعرف ملائكة الله، ويكون لهذا التصديق في قلبه أثر في حياته وبين من لا يكون له أثر في حياته؛ فالتصديق أيضاً يزيد وينقص.

والخوارج ؛ قالوا: إما أن يكون مؤمن أو يكون كافر.

قال الله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ البينة: ٥، فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين .

والدين كما تعلمون ثلاثة أقسام، اسلام وايمان واحسان وهذه أعمال ظاهرة، والأعمال الظاهرة تدخل في الإسلام، وهي أيضاً من الإيمان؛ دليل ذلك أن النبي ﷺ لما سأله جبريل عن الدين وقال: الإسلام، والإيمان، والإحسان، جعل بعض هذه الأعمال من أركان الإسلام، وجعل الإيمان من الدين، فكان هذه الأعمال الظاهرة التي يفعلها الإنسان لا بد للإيمان من العمل فسماها ديناً قيماً.

وقال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق". رواه مسلم..

وبينا أن هذا يدل على أن الإيمان قول باللسان، في قوله: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنه عمل بالأركان، في قوله: إماطة الأذى عن الطريق، وأنه اعتقاد بالجنان، في قوله: والحياء شعبة من الإيمان.

فجعل القول والعمل من الإيمان.

بل نقول جعل القول والعمل وجعل الاعتقاد من الإيمان؛ لكن كما ذكرت أن بعض العلماء يعبر بالقول عن قول القلب وقول اللسان؛ فقول القلب: تصديقه وقول اللسان: النطق به.وقال تعالى ﴿ **فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ** ﴾ آل عمران: ١٧٣، وقال تعالى ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا** ﴾.وهذا كله دليل على زيادة الإيمان، وإذا زاد الشيء فإنه ينقص.

وقال رسول الله ﷺ: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان" فجعله متفاضلاً.

وهذا دليل على تفاضل الإيمان؛ لأنه يخرجهم بحسب إيمانهم. فيُخرجون من في قلبه مثقال بُرّة، ومن في قلبه مثقال خردلة، ومن في قلبه مثقال ذرة، وهذه الأمور الثلاثة متفاضلة؛ فدل هذا على تفاضل الإيمان.

الدرس السابع

هذا هو الدرس الأخير من شرح لمعة الاعتقاد والذي سنتحدث فيه بإذن الله عز وجل عن الإيمان بالنبي ﷺ، وعن أشراط الساعة.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ، وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مثل: حديث الإسراء والمعراج.

هذا شروع من المصنف - رحمه الله تعالى- في بيان معنى شهادة أن محمداً رسول الله. وهذه الشهادة العظيمة، تقتضي أولاً معنى هذه الشهادة، وكما تقدم معنا في الأصول الثلاثة أن معناها: طاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرعه رسول الله ﷺ. ومن أتى بهذه الأمور الثلاثة فقد أطاع النبي ﷺ، وحقق معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

كذلك من الأمور التي نبه عليها المصنف -رحمه الله- هو: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وفي هذا ردٌ على بعض الفرق، وخاصة فرقة القرآنيين الذين لا يؤمنون بسنة النبي ﷺ، ولا يأخذون إلا بما في القرآن، وقد أخبر عنهم النبي ﷺ كما في مسند الإمام أحمد في قوله: **(يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت أو النهي مما نهيت؛ فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما كان فيه من حلال أحللناه، وما كان فيه من حرام حرمناه، ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله معه)**[1].

كذلك فيه ردٌ على بعض فرق الضلال مثل: المعتزلة وغيرهم، الذين يردون أحاديث الآحاد التي وردت عن النبي ﷺ وخاصة في باب الاعتقاد، فيقولون: مسائل الاعتقاد نحتاط لها فلا نقبل إلا ما تواترت به الأسانيد عن النبي ﷺ، وقد ذكرنا سابقاً أنه حتى بتطبيق هذه القاعدة على أصولهم؛ فإنهم أيضاً يردون سنة النبي ﷺ.

كذلك في هذا ردٌ على العقلانيين سواء المعتزلة فيما سبق، أو العقلانيين المعاصرين حالياً الذين يقدمون العقل على النقل، وقد سبق أن بينا القاعدة التي يستدلون بها والتي ردها شيخ

---

(١) مسند أحمد (٢٨/٤١٠).

الإسلام -رحمه الله تعالى- في كتابه: درء تعارض العقل والنقل، وكل هذا مما يجب رده والأخذ بكتاب الله وبسنة سيدنا محمد -ﷺ-. وقد قام الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل في كتابه: اتجاهات العقلانيين المعاصرة في بيان أحوال كثير من هؤلاء الذين يردون سنة النبي ﷺ.

كذلك ذكر -رحمه الله- أنه يجب أن نؤمن بسنة النبي ﷺ حتى ولو لم تدرك ذلك عقولنا، مثل قول النبي ﷺ: (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء)[1] أو كما قال ﷺ. فالمؤمن متبع للنبي ﷺ، ومن علامات أهل السنة والجماعة أنهم يأخذون بسنته ﷺ.

قال -رحمه الله تعالى-: مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته ولم تنكر المنامات .

هذا مثال من الأمثلة التي قد لا يوافقها العقل، لكن نؤمن بها لإخبار النبي ﷺ، ونقول ما جاء منه ﷺ فعلى الرأس والعين ونصدقه إذا صحت بذلك الأسانيد عنه ﷺ.

ومن ذلك حديث الإسراء المعروف وهو: **(إسراء النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ثم المعراج والمعراج هو: السلم الذي صعد به النبي ﷺ إلى السماء، وفي السماء الأولى التقى النبي ﷺ بآدم عليه السلام، وفي السماء الثانية بيحي وعيسى وهما أبناء الخالة، وفي السماء الثالثة بيوسف عليه السلام، وفي السماء الرابعة بإدريس، وفي السماء الخامسة التقى بهارون، وفي السماء السادسة التقى بموسى عليه السلام، وفي السماء السابعة التقى بأبينا إبراهيم ، وفيه شُرعت الصلوات الخمس، وغيرها من الأخبار التي بينها لنا نبينا ﷺ في حادثة الإسراء)**[2].

وحداثة الإسراء كانت يقظة وكانت بروح النبي ﷺ وبجسده، لأنها لو كانت مناماً لما استنكرها المشركون كما ذكر -رحمه الله- لأنهم لم يُنكروا المنامات، لكنهم استنكروا أن يكون يقظة، وأن يكون بروح وبجسد النبي ﷺ، وخاصة فيما يتعلق بحادثة الإسراء، فحادثة الإسراء

---

(١) صحيح البخاري (١٤/٤٤٤).

(٢) صحيح البخاري (١/٣٥٩).

كانت إلى بيت المقدس، والمشركون في مكة يعرفون بيت المقدس وذهبوا إليه وزاروه، وهم يقضون شهراً في الذهاب وشهراً في الإياب، والنبي ﷺ أخذها في ليلة واحدة في الوقت الذي أذن به ربنا -سبحانه وتعالى-، فكان هذا إستنكاراً من المشركين لما قاله النبي ﷺ، ولذا رغبوا من النبي ﷺ أن يصف لهم بيت المقدس، لم يتحدثوا عن المعراج لأنهم لا يعرفونهن فالنبي ﷺ حينما دخل بيت المقدس وصلى بالأنبياء -عليهم أفضل الصلاة والسلام-، تعرف الإنسان حينما يدخل في مكان فإنه لا يتسنى له أن يُحصي كل ما في هذا المسجد مثلاً، فنحن الآن درسنا أكثر من درس في هذا الجامع، ولو سألنا البعض كم عدد أبواب الجامع؟ لما استطاع أن يعدها ! فرفع جبريل -عليه السلام- بيت المقدس أمام النبي ﷺ فأخذ يصفه وصفاً دقيقاً، وفي هذا ذهب المشركون إلى النبي ﷺ إلى أبي بكر وقالوا: أما ترى ما يزعم محمد، قال: وماذا؟ قال: يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس، وأحدنا يقطعها شهراً في ذهابه وفي إيابه، فقال: أوقد قالها؟ قال: نعم، قال: فصدق! قالوا: أوتصدقه في هذا؟ قال: أنا أصدقه فيما هو أبعد من هذا أصدقه في الخبر الذي يأتيه من السماء، فسمي في بعض الروايات: بأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- لهذا الموقف، فحادثة الإسراء وحادثة المعراج مما صحت به الأسانيد عن نبينا ﷺ.

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه.

هذا من الأحاديث أيضاً التي ينكرها العقلانيون وخاصة المعتزلة ويقولون: كيف يتأتى لموسى -عليه السلام- أن يلطم ملك الموت وكما حتى فقأ عينه؟ وهذا الحديث صحيح عن النبي ﷺ، وفيه أن الله -عز وجل- أرسل ملك الموت لقبض روح موسى -عليه السلام-. فأتى إليه فلطمه موسى ففقأ عينه، فعاد الملك إلى ربه -عز وجل- وقال: لقد أرسلتني إلى رجل لا يحب الموت، فأرسله الله -عز وجل- وقال له يضع يده على ظهر ثور فإن له بكل شعرة وضع يده عليها سنة، فقال موسى -عليه السلام-: وماذا بعد ذلك؟ قال: بعد ذلك

الموت، قال: فالآن، فقبض ملك الموت روحه، وقال النبي ﷺ: لو كنت ببيت المقدس لأخبرتكم عن موضع قبره ﷺ.

وهذا الحديث مما يستشكله البعض. يقولون: كيف موسى -عليه السلام- يلطم هذا الملك.

نقول: إن الملائكة أولاً لم يكونوا يأتون إلى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في صورتهم الحقيقية، فكما تعلمون جبريل مثلاً -عليه السلام- كان يأتي النبي ﷺ تارة في صورة دحيه الكلبي، وتارة في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فلما أتى قال بعض العلماء: فكأنه رأى أنه يريد أن يقتله فلطمه، هذا قول.

القول الآخر: أن موسى -عليه السلام- كان غيوراً ورأى هذا الأجنبي في منزله فلطمه. ا

المهم أن الأحاديث التي صحت عن النبي ﷺ نؤمن بها ونسلّم بها.

ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي ﷺ منه وأمر به في كل صلاة وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق.

أشراط الساعة أشراط أو شرط معناها: العلامة. والساعة لها ثلاث معانٍ:

المعنى الأول: الساعة الكبرى، وهي التي يبعث الله -عز وجل- فيها الناس للمحاسبة.

الساعة الثانية: هي الوسطى، وهي موت أهل القرن من الزمان، موت أهل القرن من الزمان تسمى ساعة. وهذا معنى قول النبي ﷺ حين رأى عبد الله ابن أنيس، قال: **(إن يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة)**[1] فما المراد بالساعة؟ المراد: انتهاء قرن كامل من الزمان.

المعنى الثالث: الساعة الصغرى، وهي وفاة الإنسان كما قال الله -عز وجل-: ﴿ **قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً** ﴾ الأنعام: ٣١، فالمراد بالساعة هنا: المراد بها موت الإنسان.

---

(١) فتح الباري لأبن حجر (١٨/٣٥٣).

وأشراط الساعة على قسمين: أشراط صغرى، وأشراط كبرى. الأشراط الصغرى: هي التي تكون مهيئة للإنسان لما سيأتي، ومن ذلك بعثة النبي ﷺ، فبعثة النبي من أشراط الساعة، قال ﷺ: **(بُعثت أنا والساعة كهاتين)**[١]، ومن ذلك ما أخبر به النبي ﷺ: عن نار في الحجاز تضيء لها الأعناق بصرى. وهذه قد حدثت وقد تحدث عنها عماد الدين ابن كثير - رحمه الله- في البداية والنهاية، وغيره من العلماء.

وهناك علامات أخرى كما قال النبي ﷺ: من علاماتها **(أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)**[٢] وهذا قد حدث وفي زماننا نراه بشكل واضح. فالعلامات الصغرى هي التي تحدث قبل العلامات الكبرى.

العلامات الكبرى أخبر النبي ﷺ عنها وهي عشرة ومنها: الدجال، والدابة، ونزول عيسى ابن مريم -عليه السلام-، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

وهذه الأشراط المقصود منها: أن يتهيأ الناس لأن الإنسان ينسى فمعرفته بهذه الأشراط تجعله على يقظة ويبتعد عن الغفلة فيستعد لما بعدها، **ولهذا لما سأل الأعرابي النبي ﷺ قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ فالنبي ﷺ سأله سؤالاً آخر هو أجدر بأن يُسأل، قال: وما أعددت لها**[٣]؟ فهذا هو الذي يجب أن يكون هو ماذا أعددنا لها.

أشراط الساعة يعني من ثمارها أنها من الإيمان باليوم الآخر، فبعد أن تحدث المصنف -رحمه الله- عن الإيمان بالقدر تحدث هنا عن جزء مما يحدث في اليوم الآخر وهي أشراط الساعة.

أيضاً من ثمار معرفتنا بأشراط الساعة أن نعرف كيف نتعامل مع الفتن إذا نزلت، فعلى سبيل المثال: النبي ﷺ أخبرنا أن نهر الفرات سينحسر عن جبل من ذهب، وقد أمرنا النبي ﷺ ألا نأخذ من هذا الذهب شيئاً، ومن ذلك أيضاً أن النبي ﷺ أوصانا وقال: **(واتركوا الترك ما**

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٢/١٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٨/١).

(٣) صحيح البخاري (٢٢٤/٩).

تركوكم)[١]، حسنه الألباني ولهذا في تاريخ المسلمين كانوا دائما يتجنبون الحروب مع الترك، حتى أتى جنكيز خان حينما أرسل مجموعة من التجار، فعامل شاه في إيران قام بقتلهم فلما تأكد لجنكيز خان هذا الأمر دخل فأحدث في المسلمين مقتلة عظيمة ولم يأخذ شاه ولا غيره بوصية النبي ﷺ فكان لهم هذا الأمر!

إذاً هذه أشراط الساعة التي بينها لنا نبينا ﷺ. أيضاً من الأمور المهمة التي نتحدث عنها في أشراط الساعة أنه كثر في الفترة الأخيرة الحديث عن تحديد وقتها وصدرت كتب كثيرة في تحديد موعد قيام الساعة، وهذا الأمر ليس جديد الإمام السيوطي - رحمه الله- له كتاب اسمه الكاشف حدد قيام الساعة، وقد أتى الإمام الصنعاني بعده وقال: إن الإمام يقول كذا ولم يبقى على قيام الساعة في عهد الصنعاني - رحمه الله- سوى مائة عام ولم يظهر الدجال، ولم تظهر الدابة، ولم يظهر أي شيء من هذه الأمور حتى أتى هذا العصر، فالسبب في ذلك أن الإمام السيوطي -رحمه الله- وغيره يعتمدون في ذلك كما ذكر الإمام الذهبي على أحاديث باطلة وواهية في تحديد قيام الساعة؛ مثل: أن الساعة بعد سبعة آلاف سنة.

الإمام ابن القيم - رحمه الله- في كتاب المنار المنيف وضع ضوابط لمعرفة الحديث الصحيح من الضعيف، فكان من هذه الضوابط التي ذكرها أن الحديث إذا ذُكر فيه تحديد لموعد قيام الساعة فلا يصح عن النبي ﷺ، لماذا؟ لأن الله -عز وجل- قال: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى** ﴾الأعراف: ١٨٧، فلا يعلم قيام الساعة إلا الله -عز وجل-. فأي حديث فيه قيام الساعة بتحديد معين لا يصح عن النبي ﷺ،

وبعضهم قال: قيام الساعة بعد سبعة آلاف سنة، حُدد لها سبعة آلاف سنة منذ أن خلق الله الخليقة، كيف أخذوها؟ قالوا: إن النبي ﷺ في بعض الروايات الباطلة ذكر أنها سبعة آلاف، وأخذوها من قول النبي ﷺ: **(بُعثت أنا والساعة كهاتين)**[٢]، فقالوا: إن هذا إشارة إلى رقم سبعة وهو سبعة آلاف وغيرها.

---

(١) سنن النسائي (٦/٤٣).

(٢) صحيح البخاري (١٦/٣٤٢).

أيضاً من الكتب التي عُنيت بهذا الأمر كتاب الفتن للإمام نُعَيم بن حمّاد، وكتاب الفتن للإمام نعيم - رحمه الله- هو من الكتب التي يتداولها الذين تزل بهم الأقدام فيما يتعلق بأشراط الساعة. الإمام نعيم لا شك أنه من علماء الحديث وهو شيخ الإمام البخاري - رحمه الله-، لكنه في كتاب الفتن كما ذكر الإمام الذهبي أتى بالعجائب وبالمناكير، فكان العلماء - رحمهم الله- يُحذرون من هذا الكتاب ومن الاعتماد عليه لما فيه من الأدلة التي لا تصح عن النبي ﷺ فيما يتعلق بأشراط الساعة.

قال: مثل خروج الدجال. خروج الدجال أيضاً من أشراط الساعة التي بينها النبي ﷺ وقد أبدى النبي ﷺ وأعاد في موضوع الدجال حتى يقول الصحابة: حتى ظننا أنه في أحد بساتين المدينة من كثرة ما يذكره، وقد أخبرنا عنه النبي ﷺ أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه ك ف ر يعني كافر يقرؤه كل مسلم كاتب وغير كاتب يعني الأمي وغير الأمي يقرؤونه، ومن الفتنة التي تحدث أن الله -عز وجل- يعطيه بعض الأمور التي يفتتن بها الناس فله جنة ونار فجنته نار وناره جنة، وأيضاً من ذلك أنه يقول للسماء أن تمطر فتمطر، وللأرض أن تنبت فتنبت، ويمكث في الناس كما أخبر النبي ﷺ، والأحاديث الواردة في الدجال من الأحاديث المتواترة، وقد أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله -عز وجل- منه، فكما في الدعاء: **(اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال)**[١]، وأمرنا النبي ﷺ بحفظ عشر آيات من سورة الكهف فإنها تعصم من الدجال. هذه بعض الأحاديث التي وردت في الدجال ولا شك أن التفصيل فيه يطول كثيراً فيما يعطيه الله -عز وجل-، لكن النبي ﷺ حذر من فتنته وقال ﷺ: **(ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال)**[٢] رواه ابن خزيمة، وقال ﷺ وهذا أمر عام لنا جميعاً فيما يتعلق بأمور الفتن قال ﷺ: **(من سمع منكم بالدجال فليفر منه، فإنه يأتيه الرجل فيحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يرى**

(١) صحيح البخاري (٣/٣٦٦).

(٢) أخرجه ابن خزيمة (ص٣٢).

من الشبهات) [١]. قال العلماء: وهذا درس لنا جميعاً أننا إذا رأينا الفتن أن نبتعد عنها لأن الإنسان قد يواقعها وهو لا يشعر بذلك.

قال - رحمه الله-: ونزول عيسى ابن مريم -عليه السلام- فيقتله. نزول عيسى ابن مريم من علامات الساعة وقد أخبر النبي ﷺ أنه ينزل شرقي المنارة في الجامع في دمشق، وينزل -عليه السلام- ورأسه يقطر كأنه خرج من ديماس؛ كأنه خرج من حمام، ويحكم عليه السلام- بدين محمد ﷺ، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويتبع دين محمد ﷺ. وقد أخبر النبي ﷺ أن عيسى ابن مريم سيحج أو يعتمر في آخر الزمان، يأتي وقد خرج في المسلمين المهدي، فُيقدَّم للصلاة بالمسلمين فيُقدِّم غيره ويصلي خلف إمام المسلمين، وهذا يؤكد قول النبي ﷺ حينما قال لعمر: **(أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي به لقد جئتكم به بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي به لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)**[٢] فمحمد دينه هو آخر الأديان وخاتمها -عليها الصلاة والسلام-.

قال: وخروج يأجوج ومأجوج. يأجوج ومأجوج قوم هم موجودون الآن كما تنص الروايات قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ الكهف: ٩٤ - ٩٥. يقول النبي ﷺ وهو يُحذر من الفتن: **(فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)**[٣]، وقد أخبر النبي ﷺ عن الفتنة التي تحدث بهم والمقتلة العظيمة التي يفعلونها في المسلمين سيأكلون ما أمامهم ويشربون حتى يمرون ببحيرة طبريا فيشرب أولهم البحيرة فيأتي آخرهم يقولون: والله قد كان هنا ماء! ثم يسيرون ثم بعد ذلك إذا فرغوا من بني آدم يأخذون سهامهم ويرمونها في السماء، يقولون: بعد أن حاربنا أهل الأرض نقاتل أهل السماء فتعود نشابهم وهي سهامهم وهي

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٢٨/١٣).

(٢) مسند أحمد (٣٤٩/٢٣).

(٣) صحيح البخاري (٤١٢/٨).

تقطر دماً ثم بعد ذلك يتجه المسلمون إلى عيسى ابن مريم -عليه السلام- ويقولون: ادعُ الله لنا، فيدعو الله -عز وجل- عليهم فيصيبهم بالنَّغَف في رقابهم فتأكل أجسامهم حتى يصبحوا نتناً فينزل عيسى -عليه السلام- ومعه المسلمون فلا يستطيعون الحراك لكثرة الجثث ولنتنها، فيدعو عيسى ابن مريم -عليه السلام- ربه -عز وجل- فيأتي بسيل كما في بعض الروايات فتنقلهم إلى حيث شاء الله، أو يُرسل الله -عز وجل- طيراً تحملهم إلى حيث شاء الله -سبحانه وتعالى- وتنتهي فتنة يأجوج ومأجوج.

أيضاً من علامات آخر الساعة خروج الدابة، وهي دابة تخرج في آخر الزمان تفتن الناس وتختمهم على خراطيمهم كما في بعض الروايات وتَسِمُهم فتسم الكافر بأنه كافر، ثم بعد ذلك كما قال النبي ﷺ: **(حتى إن الرجل ليشتري بعير فيقال له: ممن شريت البعير؟ قال: شريته من المُخَطَّمين)**[١] الذين خُطم ووسم عليهم أنهم كفار.

قال: وطلوع الشمس من مغربها هذا من علامات الساعة كما قال ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها)**[٢] فذلك حين ﴿ **لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ** ﴾ الأنعام: ١٥٨. وإذا طلعت كما قال ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: **(أتدري أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها)**[٣] فيكون علامة على قيام الساعة.

قال: وأشباه ذلك مما صح به النقل، فكل ما صح به النقل عن النبي ﷺ من أشراط الساعة فإنه يجب الإيمان به.

قال: وعذاب القبر ونعيمه حق. نؤمن بعذاب القبر ونؤمن بأن المسلم يُفتن في قبره كما قال الله -عز وجل-: ﴿ **يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ**

---

(١) مسند أحمد (٣٦/٦٤٧).

(٢) صحيح البخاري (١١/٢٧٠).

(٣) صحيح البخاري (٨/٢٤٦).

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ إبراهيم: ٢٧. وفتنة القبر لا ينجو منها أحد، السؤال سؤال القبر لا ينجو منه أحد إلا كما في بعض الروايات إلا الشهيد في سبيل الله -عز وجل-. كذلك من الأمور التي نؤمن بها فيما يتعلق بالقبر وعذابه: الضمة أو الضغطة التي تكون، يقول النبي ﷺ: **(لو نجا من ضغطة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ)**[1] الذي اهتز عرش الرحمن لموته. قال العلماء: إن ضمة القبر للمؤمن كضمة الحبيب لحبيبه، وضمة القبر للكافر تختلف معها أضلاعه، نسأل الله -عز وجل- أن يخفف عنا وعنكم. وقد استعاذ النبي ﷺ منها كما قال ﷺ: **(وأعوذ بك من عذاب القبر)**[2]، وأمر به، أمر بالاستعاذة منه في كل صلاة وذلك بعد التشهد.

قال: وسؤال منكر ونكير حق. فتنة القبر يُسأل الإنسان في قبره عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه، فعند ذلك ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ إبراهيم: ٢٧.قال: سؤال منكر ونكير، الملكان اللذان يسألان اسمهما: منكر ونكير وهو حق وثابت عن النبي ﷺ.

قال - رحمه الله-: والبعث بعد الموت حق وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ يس: ٥١ ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين وتنشر الدواوين وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ **الانشقاق.**

قال - رحمه الله-: والبعث بعد الموت حق. البعث بعد الموت مما يؤمن به المسلمون، ويعتقده أهل السنة والجماعة. والمراد بالبعث: إحياء الأموات يوم القيامة، وقد ورد عن النبي

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٠/٣٧٥).

(٢) صحيح البخاري (٣/٣٦٦).

ﷺ: أن الإنسان إذا وُضع في قبره يبلى منه كل شيء إلا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة حيث يُرسل الله -عز وجل- مطراً فيُركّبون كما كانوا في الدنيا، أو كما قال ﷺ.

والبعث بعد الموت مما ينكره الكافرون في عهد النبي ﷺ، قال الله -عز وجل-: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ التغابن: ٧. فالبعث بعد الموت حق. وقد استدل الله -عز وجل- أو أكد الله -سبحانه وتعالى- عليه أولاً بالخلق الأول، فالله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾الروم: ٢٧. وقال -عز وجل-: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ يس، واستدل الله -عز وجل- عليها بإحياء الأرض ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ الحج: ٥، ويؤمن أهل السنة والجماعة أن البعث بعد الموت يكون للأرواح وبالأجساد بخلاف الفلاسفة الذين ينفون البعث بعد الموت لكنهم يقولون: إن الروح هي التي تُنعّم وتُعذّب.

قال: ويُحشر الناس يوم القيامة. الحشر المراد به: جمع الخلائق يوم القيامة للفصل بينهم يوم القضاء. قال حفاة أي: غير منتعلين، عراة: غير لابسين، غرلا بهما أي: غير مختونين، فيقفون في موقف القيامة وهو من أعظم المواقف التي يقف فيها الناس. نسأل الله أن يخفف عنا

قال -رحمه الله-: حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ، مما يؤمن به أهل السنة والجماعة شفاعة النبي ﷺ. وقد أنكرها المعتزلة والخوارج، وخاصة شفاعته لأهل الكبائر لأن الخوارج يقولون: إنّ فاعل الكبيرة خالد مخلد في النار ويقول المعتزلة: هو في الدنيا في منزلة بين منزلتين لكنه في الآخرة خالد مخلد في النار، ولذا فإنهم يقولون بإنكار الشفاعة.

الشفاعة حق وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى- عنها، والنبي ﷺ له الشفاعة الخاصة في عمه أبي طالب يشفع له النبي ﷺ فيقول ﷺ لما سأله العباس: **(ما أغنيت عن عمك فإنه كان**

يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)[1] وهو أهون أهل النار عذاباً.

أيضاً من شفاعة النبي ﷺ الفصل يوم القضاء حينما يذهب الناس إلى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ويسألونهم الشفاعة؛ فيقوم النبي ﷺ بعدها ويقول: أنا لها، فيشفع في الناس، كذلك من شفاعة النبي ﷺ: شفاعته في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها، وشفاعته في أقوام أُمِر بهم إلى النار أن لا يدخلوها، وكل ذلك ثابت وحق. والشفاعة لا تكون إلا بأمرين:

الأمر الأول: رضا الله - سبحانه وتعالى- عن المشفوع له: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ**﴾

الأمر الثاني: الإذن للشافع ﴿**مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ**﴾البقرة: ٢٥٥، أما الكفار فكما قال الله -عز وجل-: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ**﴾المدثر: ٤٨.

قال -رحمه الله-: وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور.

الصور هو: القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل -عليه السلام-. والنفخ في الصور قال بعض العلماء: إنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. ويستدلون على نفخة الفزع بقوله -عز وجل-: ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ**﴾النمل: ٨٧، ونفخة الصعق فكما قال الله: ﴿**وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ**﴾الزمر: ٦٨، ونفخة البعث قال: ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾الزمر: ٦٨. وبعض أهل السنة يقول: هي نفختان: نفخة الصعق، ونفخة البعث.

قال -رحمه الله-: ويحاسبهم الله - تبارك وتعالى-. الحساب كما يقول النبي ﷺ: **(اللهم حاسبني حسابا يسيرا) فقالت عائشة -رضي الله عنها-: (يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟)**

---

(١) صحيح البخاري (٩/٤٧٩).

قال: ينظر إلى الكتاب فيتجاوز عنه. النبي - ﷺ قال: (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته) [١]. فيحاسب الله -عز وجل- عباده المؤمنين، ويقرهم على أعمالهم، ثم يغفر لهم -عز وجل- ويستر عليهم.

أما الكافرون والمنافقون فيُصاح بهم على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا الله -عز جل- ، ثم قال الله ﴿**أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ هود: ١٨. والحساب من أعظم الأمور قال النبي ﷺ: **(من نوقش الحساب عُذّب)، قالت عائشة: يا رسول الله، ألم يقل الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الانشقاق: ٧، قال: (ذاك العرض لكن من نوقش الحساب عذب)** [٢].

وينجو من الحساب كما قال النبي ﷺ **(سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قيل من يا رسول الله؟ قال: الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة ابن محصن فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم)** [٣].

قال: وتنصب الموازين. الموازين جمع ميزان، وهي التي يزن الله - سبحانه وتعالى- فيها أعمال العباد يوم القيامة. الميزان كما يقول العلماء له كفتان ولسان، ما الذي يوزن فيه؟ قيل: إن الذي يوزن صحائف الأعمال، وقيل: إن الذي يوزن العمل، والله -عز وجل- قادر على أن يجعل هذه الأعراض أعياناً، وقيل: إن الذي يوزن صاحب العمل؛ يقول ﷺ: **(إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)** [٤]، ولما رأى الصحابة دقة ساقي ابن مسعود فضحكوا، قال: **(أو تعجبون من دقة ساقيه) ثم قال ﷺ: (والذي نفسي**

---

(١) مسند أحمد (٤٠/٢٦٠).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢٣٩٤).

(٣) صحيح البخاري (٧/٣٧٣).

(٤) صحيح البخاري (١١/٤٦٦).

بيده لهما أثقل في الميزان من أحد)[1]. فبين النبي ﷺ أن الأعمال هي التي ترفع العبد يوم القيامة، قال بعض العلماء: قد يوزن العمل، وقد يوزن الصحائف، وقد يوزن صاحب العمل، لكن دل حديث صاحب البطاقة على أن الذي يوزن هي صحائف الأعمال.

قال: وتنشر الدواوين. المراد بنشر الدواوين هو: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة، فالمؤمن يستبشر ويُسر ويُعطى كتابه بيمينه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ ﴾ الحاقة: ١٩ - ٢٠، وقال -عز وجل-: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾ الانشقاق: ٧ - ٩.

أما الكافر والمنافق فيؤتى كتابه بشماله أو يؤتى بكتابه من وراء ظهره، كما قال -عز وجل-: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ ﴾ الانشقاق: ١٠ - ١٢.

وجمع العلماء بينها لأنه يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره. نسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا وإياكم من أهل اليمين.

قال بعد ذلك: والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝١٠٣ ﴾ المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣.

ولنبينا محمد ﷺحوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

هذا مما يؤمن به أهل السنة والجماعة، وأن حوض النبي ﷺ موجود الآن، وقال ﷺ: **(وإني لأنظر إليه من مقامي هذا)**[2]، وقد بين النبي ﷺ صفته وأنه أحلى من العسل، وأشد

---

(١) مسند أحمد (٩٩/٧).

(٢) صحيح البخاري (٧٧/١٠).

بياضاً من اللبن، وقال ﷺ عدد كيزانه كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وقد أخبر النبي ﷺ أن لكل نبي حوضا، وقال: (وإن الأنبياء ليتباهون أيهم أكثر واردا).

وأيضا بيّن النبي ﷺ أن له ميزابان في أحاديث كثيرة كلها صحت يأتي الناس يوم الحساب تدنو منهم الشمس فمنهم من يُلجمه العرق إلجاما، ومنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى حقويه، فبعد ذلك يخفف الله -عز وجل- عنهم بحوض النبي ﷺ.

والصراط حق يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار.

الصراط هو جسر منصوب على متن جهنم يجوزه الناس، والله - سبحانه وتعالى- قال: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ مريم: ٧١، أما أهل الإيمان فعلى قدر إيمانهم. فمنهم من يسير كالريح، ومنهم من يسير...الخيل، ومنهم من يسير ويحبو، وبيّن النبي ﷺ أن منهم من يسير فتخطفه النار مرة وتخطفه الكلاليب مرة حتى ينجيه الله -عز وجل-. أما الكافر والمنافق فينغمسون في نار جهنم، والعياذ بالله.

وقد كان نبينا ﷺ يستعيذ بالله منه، وقد ورد في بعض الأحاديث أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة كما قال ﷺ[1].

ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما فيدخلون الجنة بشفاعته.

هذا تقدم الحديث عنه، وهي شفاعة النبي ﷺ.

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات.

وهذا من فضل الله -عز وجل- ولهذا ورد في الحديث أن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة: **(شفع الملائكة وشفع الأنبياء وشفع الناس وبقي رب العالمين فيقبض قبضة فيدخلهم الجنة)**[1]. نسأل الله من وافر فضله.

---

(١) صحيح مسلم (١/١١٧).

قال تعالى ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٨، ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

كما قال الله: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ المدثر: ٤٨.

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان فالجنة مأوى لأوليائه والنار عقاب لأعدائه وأهل الجنة فيها مخلدون ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الزخرف: ٧٤ ـ ٧٥ .

الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا وهذه من عقائد أهل السنة والجماعة، بينما الجهمية ينكرون وجودها الآن، وينكرون كذلك فناءها..

فالنار والجنة مخلوقتان لا تفنيان كما قال الله -عز وجل-: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٣، الجنة، و ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٣١، قوله: أُعدت للمتقين والكافرين دليل على وجودها، أيضاً النبي ﷺ حينما دخل الجنة يقول: (فأبصرت قصراً فأردت دخوله فإذا به لعمر بن الخطاب لم أدخله لأنه يغار، فقال: عمر: أو منك يا رسول الله؟) فهذا دليل على أنها موجودة ومخلوقة الآن، كذلك النبي ﷺ يقول: **(إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظرا قط أفظع منها)**[٢].

ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت.

كما ورد أن يؤتى بالموت يوم القيامة على هيئة كبش؛ فيقال لأهل الجنة والنار: أعرفتموه؟ قالوا: نعم، الموت - لأنهم قد رأوه- ثم بعد ذلك يُذبح بين الجنة والنار، ويقول: يا أهل الجنة

---

(١) صحيح البخاري (١٨/٤٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٢/٤٦٧).

خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت[١]. والله -عز وجل- بيّن في النار كما قال: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** ﴾ النساء: ٥٦، وهذا معنى بقائها وعدم فنائها.

فصلٌ: ومحمد ﷺ رسول الله خاتم النبيين وسيد المرسلين لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته.

الآن أيضاً كلام عن النبي ﷺ وبعض خصائصه؛ فمحمد ﷺ هو خاتم النبيين كما قال الله -عز وجل-: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ الأحزاب: ٤٠، ومعنى ذلك أنه لن يكون بعده نبي، وقد أخبر النبي ﷺ عن الكذابين الثلاثين الذين يدّعون النبوة بعده ﷺ، وقد حدث. سجاح ادّعت النبوة، ومسيلمة ادعى النبوة، وأحمد التيجاني ادعى النبوة، وغيرهم. والذين ادعوا النبوة هم أكثر من ثلاثين، لكن قال العلماء: المقصود الذين لهم أتباع بأعداد كثيرة ويؤمنون بهم.

قال: لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، كما قال ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)**[٢]، وقال ﷺ: **(لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يعني أمة الدعوة- يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أهل النار)**[٣].

قال: ويشهد بنبوته ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته. فمن لم يؤمن بالنبي ﷺ لم يصح دينه ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته. حينما يذهبون إلى آدم، وإلى موسى يسألونهم الشفاعة فيقولون: محمد عبدٌ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه فيأتون إليه ﷺ فيقول: أنا لها.

---

(١) صحيح البخاري (١١/٤٦٩).

(٢) صحيح البخاري (١/١٩).

(٣) صحيح مسلم (١/٩٣).

قال: ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته. أول من يستفتح له باب الجنة هو النبي ﷺ فيستفتح النبي ﷺ فيقول الملك من؟ فيقول: محمد، قال: بك أُمرنا أن نستفتح، فيدخل النبي ﷺ وتدخل أمته ﷺ. قال ﷺ: **(نحن آخر الأمم وأول من يحاسب. يقال أين الأمة الأمية ونبيها ؟ فنحن الآخرون الأولون)**[1].

صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم أمته خير الأمم.

قال: صاحب لواء الحمد. لواء الحمد هو: اللواء المعقود له يوم القيامة، قال ﷺ: **(أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر)**[2]، والمقام المحمود: يعني العمل الذي يحمده الناس عليه، قال -عز وجل-: ﴿ **عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا** ﴾ الإسراء: ٧٩، قال العلماء المقام المحمود: هو أنه يشفع للناس للفصل يوم القضاء،

والحوض المورود: تقدم. وهو إمام النبيين، فهو إمامهم في الدنيا فقد صلى بهم ﷺ إماما في ليلة الإسراء. وخطيبهم وصاحب شفاعتهم كما تقدم. أمته خير الأمم كما قال الله -عز وجل-: ﴿ **كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ** ﴾ آل عمران: ١١٠.

وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام .وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي رضي الله عنهم أجمعين لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا نقول والنبي ﷺحي أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي ﷺفلا ينكره. وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث.

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر.

---

(١) سنن ابن ماجة (٢/١٤٣٤).

(٢) سنن الترمذي (٥/٣٠٨).

قال -رحمه الله- مبينا عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بصحابة النبي ﷺ وإنما ذكر أهل السنة والجماعة ما يتعلق بالصحابة بالعقائد لوجود من خالف من الرافضة وغيرهم وأنهم رفضوا صحابة النبي ﷺ. وصحابة النبي ﷺ خير الأمم، النبي ﷺ قال: (**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)[١]. وقد أثنى الله -عز وجل- عليهم في كتابه قال: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ**﴾الفتح: ٢٩، وقال - سبحانه وتعالى-: ﴿**لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ الفتح: ١٨، وقد نصروا النبي ﷺ، ويكفي اصطفاء الله -عز وجل- لهم لصحبة محمد ﷺ.

والصحابي -الصحيح من أقوال أهل العلم في تعريفه- (هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك ولو تخلل ذلك ردة)، ولهذا لا يُشترط طول الملازمة فكل من جالس النبي ﷺ فله هذه الصحبة وهذه الفضيلة. وأفضل صحابة النبي ﷺ هم الخلفاء الراشدون أولهم: أبو بكر -رضي الله عنه- صاحبه في الغار الصديق الذي بذل كل شيء في خدمة محمد ﷺ لنصرة دين الله -عز وجل- حتى قال النبي ﷺ: (لو وُزن إيمان الأمة في كفة وإيمان أبي بكر في كفة لمال بهن إيمان أبي بكر). ثم عمر- رضي الله عنه- الفاروق الذي نصر الله -عز وجل- به الحق وأهله. ثم عثمان الحيي ذو النورين، ذو النورين لأنه تزوج بنتي رسول الله ﷺ أم كلثوم ورقية، وقال النبي ﷺ لو كان عندنا الثالثة لزوجناكها، وأيضا هو الحيي كما قال النبي ﷺ: (**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**)[٢]، وفي يوم العسرة لما بذل ماله في سبيل الله قال رسول الله ﷺ: (**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**)[٣]. ثم بعد ذلك علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وأرضاه- ابن عم النبي ﷺ والذي له قدم الصدق في هذا الدين، فهؤلاء هم صحابة النبي ﷺ وهم أفضلهم.

---

(١) صحيح البخاري (٥٦١/٦).

(٢) صحيح مسلم (١١٦/٧).

(٣) سنن الترمذي (٦٢٦/٥).

ثم إن الرافضة يقدمون علياً -رضي الله عنه- على الصحابة على أبي بكر وعمر، ويلعنون أبا بكر وعمر لأنهم غصبوا الخلافة من علي - رضي الله عنه -ولهذا قال العلماء: إن أصل عقيدة الرفض -الرافضة والشيعة الاثني عشرية- أصل عقيدتهم تقوم على الإمامة كما قال القاضي عبد الجبار وهو من أئمة المعتزلة قال: لا يناقش الإمامية إلا في الإمامة، لأن الصحابة - رضي الله عنهم- لو لم يفعلوا ما ذكره الشيعة والإمامية من اتهامات باطلة فإنهم لن يقروا لهم بالفضيلة لأنهم يرون أنهم غصبوا الخلافة من علي -رضي الله عنه-، مع أن علي - رضي الله عنه- كان وهو على المنبر بل (وهذا موجود في كتبهم كنهج البلاغة ونحوها) يثني على أبي بكر ويقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، قال ولو شئت لسميت الثالث. فكان هذا من الأمور التي يبينها - رضي الله عنه - وسيأتي معنا خبر هؤلاء القوم الذين خرجوا في زمانه.

فالإيمان ومعرفة فضل الصحابة وقدرهم ومنزلتهم من أعظم الأمور التي أمر بها النبي ﷺ، كما قال ﷺ: **(اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)**[١] وقال -ﷺ: **(فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)**[٢].

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه. ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له.ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه.وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ".وقال: "الخلافة من بعدي ثلاثون سنة". فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه.

---

(١) سنن الترمذي (١٢/١٢١).

(٢) سنن ابي داود (٤/٣٢٩).

هو يتحدث عن أحق الصحابة -رضي الله عنهم- بالخلافة فذكر أن أحقهم في ذلك أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

أبو بكر -رضي الله عنه- هل اخذ الخلافة -رضي الله عنه- استخلافاً من النبي ﷺ أم باختيار من الصحابة؟ هل حلافته بالنص أم بالاختيار، بعض العلماء قال: بالنص، لأن النبي ﷺ أتت إليه امرأة قالت: إن لم أجدك يا رسول الله؟ قال: تجدين أبا بكر. أيضاً قالوا: إنّ النبي ﷺ قدّمه في الصلاة ومن رضيه النبي ﷺ لأمور الدين فالصحابة لا بد أن يرضونه لأمور الدنيا.

وبعض العلماء قالوا: إن الصحيح أن خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - هي بالاختيار، باختيار من الصحابة - رضي الله عنهم-، دليل ذلك أن عمر في ساعة موته قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني (يعني أبا بكر) وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني (يعني النبي ﷺ).

قال العلماء: إن التفضيل فيما يتعلق بالخلافة أجمع أهل السنة والجماعة على أن الأحق بذلك أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. أما ما يتعلق بالأفضلية فهنا حدث خلاف هل علي - رضي الله عنه- أفضل من عثمان أم أن عثمان - رضي الله عنه- أفضل من علي؟ وهو من الخلاف بين أهل السنة والجماعة والصحيح هو أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

قال: "الخلافة من بعدي ثلاثون سنة" وهذا في حديث سفينة - رضي الله عنه- فقد أخبر النبي ﷺ أن الخلافة تكون ثلاثون سنة وقد أتمت الخلافة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر بموت علي - رضي الله عنه وأرضاه- ثم بعد ذلك أتم الحسن - رضي الله عنه- ستة أشهر ثم بعد ذلك تنازل لمعاوية - رضي الله عنه - فأخبر النبي ﷺ أنه يكون بعدها الملك.

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في

الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة في الجنة.وكل من شهد له النبي ﷺ شهدنا له بها كقوله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وقوله لثابت بن قيس إنه من أهل الجنة.

القاعدة أن من شهد لهم النبي ﷺ نشهد له بالجنة ونقول هو من أهل الجنة كما أخبر النبي ﷺ، كما ذكر في العشرة المبشرين بالجنة والحسن والحسين - رضي الله عنهما- وثابت ابن قيس، وعكاشة ابن محصن الذي قال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم.

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ ولكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

من لم يُخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار فلا نجزم أنه من أهل الجنة ولا من أهل النار ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة فكما ترون عقيدة معتدلة تُبنى على الدليل وعلى الرحمة وعلى النص من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ. فحتى إذا رأينا أهل الخير والصلاح فلا يجوز لنا أن نجزم لهم بالجنة، وإذا رأينا أهل الشر فلا نجزم لهم بالنار. النبي - ﷺ- قال: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[1].

ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

هذه من قواعد أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أهل القبلة بالذنب ولا يُخرجونهم من الإسلام بعمل، والكفر هو حكم شرعي، متى اجتمعت الشروط وانتفت الموانع فإنه يُحكم به وهو من الأمور التي بيّنها النبي ﷺ وهو بهذا يريد أن يرد على الخوارج، قال: لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، لا نكفرهم بذنب؛ لأن الخوارج يقولون: من فعل

(١) صحيح مسلم (٨/٤٤).

الكبيرة فهو كافر وهو خالد مخلد في النار، والمعتزلة يقولون: في الدنيا في منزلة بين منزلتين وفي الآخرة يوافقون الخوارج أنه في نار جهنم والعياذ بالله.

قال: ولا نخرجه عن الإسلام بعمل، لأن العمل الكفري الذي يفعله قد يحيط به أشياء تجعله لا يخرج من الإسلام كذاك الرجل الذي قال لأبنائه: إن مت فاحرقوني ثم ذروني فو الله إن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من الأولين والآخرين، ثم لما جمع خلقه أدخله الله - عز وجل- الجنة، فهذا دليل على أن مجرد العمل لا نحكم بخروج الإنسان من النار إلا إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع.

ونرى الحج والجهاد ماضيا مع طاعة كل إمام برا كان أو فاجرا وصلاة الجمعة خلفهم جائزة .قال أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: "ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال ولا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار".

هذه أيضاً من عقائد أهل السنة والجماعة وهو عدم الخروج على ولاة الأمر.

ولاة الأمر ما المقصود بهم؟ قال العلماء: إن الخلافة أو الملك أو الرئاسة تكون بثلاثة أمور: إما أن تكون باختيار الناس، أو تكون بالاستخلاف، أو يكون بالغلبة، فإذا أخذ الملك بالاستخلاف، أو باختيار الناس، أو بالغلبة فيجب طاعته، والله - سبحانه وتعالى- قال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ**﴾النساء: ٥٩. فيجب طاعة ولاة الأمر ولكن هذه الطاعة مقيدة كما قال النبي ﷺ في صحيح البخاري: **(إنما الطاعة في المعروف)**[١]، وقال: **(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)**[٢]. ولا يجوز الخروج عليه، لأن النبي ﷺ حذر من الخروج عليه، قال: **(اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة)**[٣]، وأيضاً قال

(١) صحيح البخاري (١٨/٥٥).
(٢) المعجم الكبير (١٨/١٧٠).
(٣) صحيح البخاري (٢/١٠٤).

ﷺ: (**انه سيكون عليكم أئمة تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع فقيل يا رسول الله أفلا نقاتلهم ؟ قال لا ما صلوا**)[١]، وأيضاً بيّن النبي ﷺ أن من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، فهذه من القضايا المهمة التي تميز بها أهل السنة والجماعة عن الخوارج الذين خرجوا على ولاة الأمر من المسلمين وأيضاً من المعتزلة الذين من قواعدهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقصدون بها الخروج على ولاة الأمر، وأيضاً بما في ذلك النبي - ﷺ- حينما قال: (**تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**)[٢] لأن النبي ﷺ المقصد الأعظم عنده هو الجماعة: جماعة المسلمين، وحفظ بيضة المسلمين لأننا نعلم أن الفتنة إذا دخلت بين الناس ووقعت فيهم فإنه لا يُرفع، ولهذا أمر الله -عز وجل- بطاعة ولاة الأمور وأمر أن يكون الحج والجهاد ماضياً مع ولاة الأمور من المسلمين.

وإذا قرأتم في التاريخ، تاريخ البداية والنهاية لابن كثير تجدون في هذا العام حج فلان عن خليفة المسلمين فلان، وأيضاً الجهاد فإن الجهاد لا بد له من راية ولا بد له من إذن ولي الأمر كما ذكر ذلك ابن قدامة - رحمه الله- في كتابه المغني.

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة محبة الصحابة -رضي الله عنهم- كما قال الله -عز وجل-: ﴿**وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾ الحشر: ١٠، ولهذا قال العلماء: إن من كان في قلبه غل، استدل الإمام مالك على أن من كان في قلبه غل على صحابة النبي ﷺ فقد كفر.

والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم.

---

(١) سنن الترمذي (٤/٥٢٩).

(٢) صحيح مسلم (٦/٢٠).

هذا مما تميز به أهل السنة والجماعة. الصحابة - رضي الله عنهم- حدث بينهم ما حدث من الحروب في صفين وفي الجمل، فما عقيدة أهل السنة والجماعة ذلك؟ عقيدتهم كما قال بعض السلف: حرب سلّم الله منها سيوفنا، فتسلم منها ألسنتنا.

فكما أن الله -عز وجل- سلّمنا أن نكون في هذه الفتن وفي هذه الحروب بسيوفنا وبدمائنا فلا بد أن تسلم من ذلك ألسنتنا، والصحابة - رضي الله عنهم- مغفور لهم، وقد رضي الله -عز وجل- عن أعمالهم، وقال النبي ﷺ: (**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**)[1] والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، ولديهم من الحسنات العظيمة التي يمحو الله -عز وجل- بها السيئات وأعظم هذا الأمر هو صحبة النبي ﷺ، فيجب الكف عما حدث بين الصحابة وعما شجر بينهم، وحتى تسلم ألسنتنا، وهذا من عقائد أهل السنة والجماعة وسيأتي الدليل على ذلك.

قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقال تعالى ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ الفتح: ٢٩. **وقال ﷺ: (لاتسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه).**

هذا الحديث توجيه من النبي ﷺ لخالد ابن الوليد لما حدث بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ما حدث فقال له: (**لا تسبوا أصحابي**)[2] فكيف بنا نحن الذين لن ندرك ما أدركه خالد ابن الوليد - رضي الله عنه-. يبقى ما حكم من سب الصحابة؟ قال العلماء: من سب الصحابة إما أن يسبهم بما يقتضي كفرهم أو كفر أكثرهم كأن يصفهم بالردة أو النفاق الأكبر

(١) صحيح مسلم (١٦٧/٧).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٧/٩).

فهذا كافر؛ لأنه كذب الله وكذب رسوله. الله -عز وجل- يقول: ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ الفتح: ١٨، والنبي ﷺ يقول: (**خير الناس قرني**)[1]، وهذا يقول هؤلاء كفار!

الثاني: أن يطعن فيهم بما لا يوجب كفرهم كاللعن وتفسيقهم ونحو ذلك، فهذا اختلف العلماء فيه على قولين، فمن العلماء من كفر وأكثر العلماء قالوا: إنه يعزر حتى يرتدع عن بدعته ولا يكفر بهذا الأمر.

الأمر الثالث: أن يصف الصحابة بما لا يتعلق بدينهم كالجبن والبخل وغير ذلك، فمن وصف الصحابة بذلك فلا يكفر ولكن على ولي أمر المسلمين أن يعزره وأن يؤدبه حتى يحمله على القرآن والسنة.

ومن السنة الترضي عن أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرءات من كل سوء أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم.

الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ. زوجات النبي ﷺ هن أمهات للمؤمنين، وهن خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر ، وسودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وجويرية بنت الحارث، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث، هؤلاء هن زوجات النبي ﷺ، ويجب أن يُعلم أن من عقيدة أهل السنة هو الترضي عنهن ومعرفة فضلهن، واختلف العلماء أيهن أفضل: عائشة أم خديجة فقالوا: إن خديجة أفضل لما لها من السبق، وعائشة أفضل لما لها من العلم الذي حفظته عن النبي ﷺ، وقد ذكر بعض العلماء أن من طعن في عائشة وقذفها في عرضها أنه يكفر لأنه قد كذب الله ورسوله ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري (٦/٥٦١).

قال: ومعاوية خال المؤمنين. هل كل أخ لزوجة من زوجات النبي ﷺ يُعتبر خالاً للمؤمنين؟ هذا قول لبعض العلماء، مثل: أسماء بنت أبي بكر تُعتبر خالة للمؤمنين، فهذا قول لبعض أهل العلم.

قال: وكاتب وحي الله، قد دل على ذلك كتاب الله وسنة النبي ﷺ، بل حتى الإمامية الذين يرونه كافراً ظالماً فاسقاً يقرون بأنه كان كاتب وحي النبي ﷺ. وهو أحد خلفاء المسلمين بل هو أول ملوك المسلمين.

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله. ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته الخروج عليه وشق عصا المسلمين.ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر كتب المبتدعة والإصغاء لكلماتهم وكل محدثة في الدين بدعة وكل متسم بغير الإسلام مبتدع كالرافضة.

هجران أهل البدع ومباينتهم: قال الله عز وجل ﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ المجادلة: ٢٢ بعض العلماء قال: إنّ هجران أهل البدع إذا كان هذا الأمر يفضي إلى مصلحة فلا بأس بذلك كما فعل النبي ﷺ حينما هجر كعب بن مالك رضي الله عنه وأصحابه، وإذا كان الهجر لا يؤدي إلى فائدة فلا بأس من اللقاء بهم ونصحهم وإرشادهم كما كان يفعل أئمة ومن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

الجدال: الله سبحانه وتعالى قال ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ العنكبوت: ٤٦، فإذا كان الجدال بالتي هي أحسن، أما إذا كان الجدال إلى غير فائدة فقد قال الله ﴿ **مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ غافر: ٤.

وحث رحمه الله على: ترك النظر كتب المبتدعة والإصغاء لكلماتهم وكل محدثة في الدين بدعة وكل متسم بغير الإسلام مبتدع.فالنظر في كتب أهل البدع يسبب للإنسان إشكالاً، وإذا كان النبي ﷺ قد نهى عمر بن الخطاب عن النظر في التوراة على جلالة فضله وعلمه وقدره وقال أمتهوكون فيها يا بن الخطاب فما بالك بغيره، فنحن نقول إن الأصل عدم قراءة كتب أهل البدع لئلا يتلبس الإنسان بشيء منها أو يتأثر بها، لكن إذا كان سيقرؤها للرد عليه ومناظرتهم ومحاورتهم فلا بأس وهذا صنيع أهل الإسلام.

قال: وكل محدثة في الدين بدعة.البدعة كما تقدم معنا: هي طريقة مخترعة في الدين يقصد من السير عليها المبالغة في التعبد كما قال الشاطبي رحمه الله في الإعتصام،

قال: وكل متسم بغير الإسلام مبتدع.

من اتسم بغير الإسلام وبغير سنة النبي ﷺ وأضفى ألقاباً لم ينزل الله بها من سلطان، فقد ذكر رحمه الله أنه مبتدع، قد يقول البعض أن التسمية المهاجرين والأنصار وجدت في عهد النبي، نقول هاتين التسميتين شرعية وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأفضل الأسماء في الإسلام كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ** ﴾ الحج: ٧٨، وأعظم المناهج سنة النبي ﷺ

قال: مبتدع كالرافضة.

الضابط كما قال النبي ﷺ، (**وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**)[1]فضابط الفرقة الناجية: من كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فكل من لم يكن على سنة النبي ولم يكن على ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم فأنه مبتدع كالرافضة.

(١) المعجم الأوسط (٢٢/٨).

سموا الرافضة لأنهم: رفضوا زيد بن علي حينما ترحم على أبي بكر وعمر وهي من أوال الفرق التي خرجت على يد عبدالله بن سبأ، وقد خرجوا في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وغلاتهم يزعمون أن علي رضي الله عنه إله وقد حرَّقهم، قال:

فلما رأيت الأمر أمراً منكراً.... أججت ناري ودعوت قنبرا

وأحرقهم رضي الله عنه، فلما أحرقهم قالوا: الآن أدركنا أنك الإله لا يعذب بالنار إلا رب النار، وكان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قد أشار على علي بن أبي طالب أن لا يحرقهم، وقد هرب عبدالله بن سبأ اليهودي الذي دخل في الإسلام وأعلنه نفاقاً ليضر بالمسلمين كما فعل بولص اليهودي الذي دخل في الديانة النصرانية فحرفها.

قال: والجهمية..

الجهمية أتباع جهم بن صفوان، والجهمية يقولون لهم ثلاث جيمات، الجيم الأولى جيم الجهم وهي نفي الصفات، والثاني جيم الجبر يقولون أن الإنسان مجبر على عمله، والثالثة جيم الإرجاء يقولون إن الإيمان هو المعرفة فقط.

الخوارج:

الخوارج الذين خرجوا في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه و كان خروجهم في عهده، خرجوا عليه وقاتلوه رضي الله عنه وأرضاه ويرون كفر فاعل الكبيرة وأنه في النار خالداً مخلد في النار.

قال: والقدرية

القدرية على قسمين:

١- القدرية الغلاة: الذين ينفون علم الله وظهروا في زمن الصحابة وقال عنهم إنهم مجوس هذه الأمة وقد انقرضوا، فقالوا إن الله لا يعلم الأمور إلا بعد أن تقع.

٢- القدرية المعتزلة: الذين يقولون إن الله عز وجل لا يخلق أفعال العباد وإنما العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، فنفوا عن الله عز وجل أفعال العباد الخلق والمشيئة والإرادة.

قال: والمرجئة.

المرجئة أقسام وهم ممن ابتليت بهم هذه الأمة وهم الذين أرجئوا العمل عن مسمى الإيمان

١- منهم الجهمية الذين يقولون إن الإيمان هو المعرفة.

٢- ومنهم الكراميه الذين قالوا إنّ الإيمان هو قول اللسان.

- ومنهم الماتريدية الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق.

قال: والمعتزلة.

المعتزلة أتباع واصل بن عطاء وسموا معتزلة لأنهم اعتزلوا حلقة الحسن البصري رحمه الله، فإنه لما رأى منهم ما رأى من البدع أمر بإعتزالهم.

وقد اشتهروا المعتزلة بعقائدهم الخمسة التي هي: العدل والتوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين.

قال: والكرامية

الكرامية هم أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرَّام وهؤلاء غلوا في إثبات الأسماء والصفات حتى أثبتوا الجسمية لله تعالى والكرامية هم الذين يقولون أن الإيمان قول باللسان.

قال: والكلَّابية.

الكلَّابية هم أتباع عبد الله بن سعيد ابن كُلَّاب، وهؤلاء كان الناس قبل خروجهم، أهل السنة والجماعة يثبتون الأسماء والصفات، والجهمية ينفون الأسماء والصفات، والمعتزلة ينفون الصفات ويثبتون الأسماء لله عزوجل.. فخرج هؤلاء وافقوا أهل السنة والجماعة فأثبتوا

الأسماء والصفات ووافقوا الجهمية في نفي صفات الله الإختيارية، وكل هذا الكلام قد تقدم معنا.

قال: فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها.... ومن غيرها الأشاعرة والماتردية وغيرهم.

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم فإن الإختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مُثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة .

قال رحمه الله: وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين

أراد رحمه الله أن يؤكد على أن هذه العقيدة ليست خاصة بطائفة، وأن الطوائف الأربع المذاهب الأربع الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ليسوا هم من أهل البدع وإن تفرقوا في الأقوال لأن هذا الاختلاف هو من اختلاف الفروع وهو رحمة من الله عز وجل بعباده، والاختلاف في الفروع ليس بسبب أنهم يريدون الابتداع في دين الله وإنما هو الاختلاف في وصول النص إلى الأئمة، الاختلاف في فهم النص، الاختلاف في معرفة الناسخ والمنسوخ فالنسبة إلى الأئمة كالإمام الشافعي والمالكي وأبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ليس مذموما كالانتساب إلى هذه الفرق، لأن هذه الفرق خالفت في الأصول وهذه الفرق خالفت في الفروع، بل إن أئمة هذه الفروع وهم الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله كلهم كانوا على عقيدة أهل السنة والجماعة فهم مثابون على اجتهادهم، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد.

واختلافهم رحمة وسعة من الله عز وجل واتفاقهم حجة قاطعة.

أراد الإشارة بذلك إلى الإجماع، لأن الأئمة إذا أجمعوا على قول فيجب الأخذ بهذا القول، وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة على حجية الإجماع بقول الله سبحانه

وتعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ النساء: ١١٥ □

قال رحمه الله: أسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة ويحيينا على الإسلام والسنة ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين وهذا آخر المعتقد والحمدلله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

اللهم صلي وسلم على رسول الله، هذا هو آخر المعتقد، وهذه الدعوات المباركة بأن يعصمنا الله عز وجل من الفتن من البدع وأن يحيينا على الإسلام والسنة هي من أعظم الأمور التي يجب أن نتواصى فيها، وأن ندعو الله سبحانه وتعالى بها أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل اجتماعنا هذا مرحوماً وتفرقنا بعده تفرقاً معصوماً وأن يجعل ما قلناه واستمعنا إليه حجة لنا، وأن يجمعنا جميعا في دار كرامته ومستقر رحمته في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بلقب سليم.

أوصيكم بمراجعة ما تقدم والاستزاده من العلم، فإن العلم من أعظم الأمور والقربات التي يتقرب بها العبد إلى الله وخاصة علم الإعتقاد، وخاصة في هذا الزمان الذي كثر فيه المخالفون وأجلب أهل البدع فيه بخيلهم ورجلهم وأصبحنا نسمع من رد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا سبيل إلى بيان الحق وإلى نشره إلا ببيان العقيدة الصحيحة من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى ويجمعنا وإياكم على الخير والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين..